الفصل السادس
التفكير والتعلم التعاونى

* تمهيد .
* المقصود بالتعلم التعاونى ومبررات استخدامه .
* التعلم التعاونى ... ماهيته وتاريخه وخصائصه ودور المعلم والمتعلم فيه .
* طبيعة التعلم التعاونى والأسس التى يقوم عليها وأنماط تفاعله وتقسيم مجموعاته .
* إستراتيجيات التعلم التعاونى .
* دوافع المجموعات المتعاونة للعمل المشترك .
* التعلم التعاونى كأحد أساليب التعلم الذاتى .
* التعلم التعاونى وتطوير تفكير المتعلمين .

تمهيد :

التعاون هو العمل معاً من أجل تحقيق أهداف مشتركة، ومن خلال الأنشطة التعاونية يخرج الأفراد بأهداف نافعة ومفيدة لهم ولكل أعضاء المجموعة.

والتعليم التعاونى هى وسيلة تعليمية حيث يقوم الطلاب بالعمل ومساعدة بعضهم من أجل تسهيل عملية تعلمهم. والفكرة بسيطة وتتلخص فى أن طلاب الفصل يتم تقسيمهم إلى مجموعات صغيرة وذلك بعد تلقى التعليمات من المدرس ومن خلال الدروس والواجبات يقوم أعضاء المجموعات بالعمل معاً حتى يحققوا مقاصدهم فى النهاية.

والمجهودات التعاونية تؤدى إلى فائدة متبادلة حيث أن كل عضو من الجماعة سيأخذ المنفعة من مجهودات العضو الآخر (نجاحك يفيدنى ونجاحى يفيدك). وكل أعضاء المجموعة يدركون أنهم يتشاركون فى نفس المسئولية (سوف نغرق أو نعوم معاً)، ويشعرون بالفخر لتحقيق أحد الأعضاء لأى إنجاز (نحن نهنئك لإنجازك).

وفى التعليم التعاونى، توجد مواقف بها نوع من الاتكالية الإيجابية بين الطلاب، فالطلاب يدركون أنهم يستطيعون تحقيق أهدافهم التعلمية فقط إذا حقق الطلاب الآخرين أهدافهم.

ونجاح أعضاء الفريق يسهم فى تقديم وسائل إعلامية متعددة من أجل إنقاذ البيئة، فمثلا: الاعتماد على المجهودات الفردية ومجهودات الآخرين الذين لديهم براعة فى المعلومات والمهارات المطلوبة لها مردودات إيجابية فى المحافظة على البيئة.

أولا : المقصود بالتعلم التعاونى ومبررات استخدامه :

هناك مجموعة من التعريفات التى عرضها الباحثون للتعلم التعاونى، منها على سبيل المثال الآتى:

* نوع من التعلم يتم فيه تقسيم المتعلمين إلى مجموعات صغيرة العدد، ويحدد لكل مجموعة رائد من بين أفرادها ليكون همزة الوصل بين المتعلمين والمعلمين، وتحدد الأدوار حسب القدرات والإمكانات الذهنية والتحصيلية لكل متعلم على حدة (مجدى عزيز إبراهيم، ٢٠٠٠).
* مجموعة من استراتيجيات التدريس التى تضع المتعلم فى موقف جماعى يقوم فيه بدورى التدريس والتعلم فى آن واحد، وما يتطلبه ذلك من العمل فى جماعية؛

لتحقيق أهداف مشتركة تشمل الجوانب المعرفية والمهارات الاجتماعية (محمد إسماعيل، ٢٠٠٠).

* تقسيم طلاب الصف إلى مجموعات صغيرة بطريقة عشوائية، وتضم المجموعة خمسة طلاب، ولكل مجموعة قائد وكاتب ومستوضح، وضابط ومقوم، ويعملون بشكل جماعى متفاعل من أجل تحقيق الأهداف المرجوة، وذلك تحت إشراف وتوجيه المعلم (أبو المجد محمود خليل، ٢٠٠٠).
* مدخل للتعلم يشمل عمل التلاميذ معاً كمجموعة للوصول إلى هدف معين، ويؤمن هذا النوع من التعلم بإباحة فرص النجاح لكل متعلم وفقاً لقدراته واستعداداته، تحت إشراف وإرشاد وتوجيه المعلم، وهذا النوع من التعلم يتيح الفرصة للتلاميذ للتعلم معاً بفاعلية. (نادى عزيز، ١٩٩٩).
* تعلم قائم على أساس المشاركة الفعالة والنشطة للطلاب فى عملية التعلم، ويقوم على تقسيمهم إلى مجموعات صغيرة داخل الفصل، وإعطاء الفرصة لهم لتحمل المسئولية عند دراسة موضوع ما، ويتم تحت إشراف وتوجيه المعلم، ويكون المعلم فيه موجهاً ومرشداً، ويتدخل حينما يتطلب الموقف ذلك، وتتاح فيه الفرصة للمناقشة والحوار وإبداء الرأى بين المعلم والطلاب، وبين بعضهم البعض (اللقانى والجمل، ١٩٩٩).
* أسلوب للتعلم الصفى، يتم بموجبه تقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة، يعمل أفرادها متعاونين، متحملين مسئولية تعلمهم، وتعلم زملائهم، وصولا إلى تحقيق أهدافهم التى هى فى الوقت نفسه أهداف المجموعة (محمد المرسى، ١٩٩٥).
* تقنية ينجز فيها التلاميذ أعمالهم كشركاء فى مجموعات صغيرة من خلال تناولهم موديولات وأنشطة وأوراق عمل تساعد فى عملية تعلم الدرس أو الموضوع المراد دراسته، ومن خلال التعاون بين أعضاء المجموعة يمكن أن يتعلم البطئ من المتفوق، وبالمناقشة والحوار والمشاركة ينشغل التلاميذ داخل المجموعة كل على حدة بالحسابات والتقديرات العملية، وبذلك يصبح التعلم التعاونى مساعدا فى قياس المستوى التفكيرى العالى، ومهارات حل المشكلات، والمهارات اللغوية، والمهارات الاجتماعية، والأداء المستقبلى وانتقال المعرفة (Josh. D. Tenenberg, 1995).

* تكنيك يتم فيه تنظيم وتهيئة بيئة صفية مناسبة تسمح للطلاب بالتعاون والتفاعل معا فى مجموعات صغيرة من أجل التعلم وتحقيق الأهداف المرجوة وذلك تحت إشراف المعلم (سعيد الجندى، ١٩٩٥).

* شكل من أشكال التعلم، يأخذ مكانه فى بيئة التعلم، حيث يعمل التلاميذ فى مجموعات صغيرة، تجاه إنجاز مهام أكاديمية محددة، حيث تعكف المجموعة الصغيرة مشتركة على التعيين الذى كلفت به إلى أن ينجح جميع الأعضاء فى فهم وإتمام التعيين، ومن ثم يلمس التلاميذ أن لكل منهم نصيباً فى نجاح بعضهم البعض، وعليه يصبحون مسئولين عن تعلم بعضهم البعض (فتحية حسنى، ١٩٩٤).

* طريقة من طرق التعليم / التعلم، قائمة على تعاون مجموعة صغيرة من الأطفال فى التفكير والأداء للوصول إلى تحصيل أو كسب لمفاهيم أو عموميات أو مهارات فى مجال ما، حيث يمثل المجموعة فى التعبير عن منتج تعاونها واحداً من بين أفرادها الذين يجب أن يقوم كل منهم بدور موجب. وتتحمل المجموعة التعزيز أياً كان نوعه ودرجته وفقاً لنتائج تعاون أفرادها ويصبح دور المُعلِّم فى هذه الطريقة توجيهياً وإشرافيا (مصطفى عبد السميع، سميرة السيد).

* تكنيكات يعمل فيها الطلاب معاً فى مجموعات يتكون كل منها من أربع إلى ست طلاب، لكى يتم التعلم، ويحصلون على المكافآت، أو الدرجات بناء على الأداء الأكاديمى لمجموعاتهم (سلافين Slavin, 1988).

* تقنية ينجز فيها التلاميذ من خلال مساعدة كل منهم الآخر فى عملية التعلم حيث يعملون كشركاء مع المعلم ومع بعضهم البعض بهدف تعلم مواد المقرر (Bridget M. Smyser).

* استراتيجية تدريس ناجحة يتم فيها استخدام المجموعات الصغيرة وتضم كل منها تلاميذ ذوى مستويات قدرة مختلفة يمارسون أنشطة تعلم متنوعة لتحسين فهمهم للموضوع، وكل عضو فى الفريق ليس مسئولا فقط أن يتعلم ما يجب أن يعلمه، بل يساعد زملاءه فى المجموعة على التعلم وبالتالى يخلق جوا من الإنجاز والتحصيل (Stephen).

والسؤال: لماذا نستخدم التعليم التعاونى؟

أهداف تعلم الطلاب التعاونى يتم بنائها على أساس تحريك المجهودات الفردية التنافسية التعاونية، وذلك يضاد المواقف التنافسية والتى فيها يعمل الطلاب عكس بعضهم لتحقيق أهداف يستطيع تحقيقها واحد أو عدد قليل منهم، ونتيجة لذلك، الطلاب إما أن يذاكروا بجد ليحققوا نتائج أفضل من زملائهم أو يأخذون الموضوع بسهولة وذلك لأنهم يعتقدون أنه ليس لديهم الفرصة للنجاح. وفى التعلم الفردى يعمل الطلاب وحدهم من أجل تحقيق أهدافهم والتى ليس لها علاقة بأهداف زملائهم، وكل واحد من الطلاب يدرك أن تحقيق أهداف التعلم الخاصة به ليس لها علاقة بما يفعله باقى الطلاب. والنتيجة هو التركيز على الاهتمامات الشخصية والنجاح الشخصى وإهمال نجاح أو فشل الآخرين.

هناك تاريخ طويل من الأبحاث على المجهودات الجماعية أو التنافسية منذ أول دراسة بحثية تحققت فى ١٨٩٨م، حيث تم إجراء حوالى ٦٠٠ دراسة تجريبية منذ ذلك التاريخ. ونظراً لتعدد المخرجات فإنه يمكن تقسيمها إلى ٣ فئات وهى: (الإنجازات والإنتاج)، (العلاقة الإيجابية)، (الصحة النفسية). وقد تضمنت تلك البحوث التعاون بالمقارنة مع المجهودات التنافسية، وذلك أدى إلى: إنجازات أكثر وإنجازات أعظم، كما كانت الرعاية أكثر، وارتفع مستوى المساندة والصداقة والصحة النفسية والثقة بالنفس.

فالتأثيرات الإيجابية للتعاون جعلت التعليم التعاونى واحد من أهم وأقيم الوسائل التى يحصل عليها المتعلم.

وبعامة يتفق المتخصصون فى تربية الطفل على أن التعلم التعاونى هو أفضل أهم مداخل ثلاثة لتعليم الأطفال حيث يكون الفرد منهم مسئولاً وشاعراً بحاجة الآخرين له. أما التنافس Competition فهو مدخل يعتمد على مواقف مكسب أو خسارة للأفراد. وأيضا التدريس الفردى Individualized Instrucion فيكون الفرد وحيداً، والرضا الذاتى هو المؤشر الوحيد لتحقيق الأهداف المنشودة.

وقد توصلت دراسات ميدانية إلى فوائد عديدة لاستخدام "التعلم التعاونى" مع الأطفال غير ما يحصلونه من معارف. ومن ذلك مثلا: إيجاد روح الأثرة لديهم (إيثار الغير) Altruistic Spirit، حيث يسعى كل منهم إلى مساعدة الآخرين Helping فى تحقيق هدف ما. ويعضد جهودهم بالفكرة والرأى والأداء Succorence ويتعاطف معهم Sympathy فى حالات التعزيز. وهذا يعكس مفهوم الشعور الجماعى لتحمل المسئولية. وكذلك المسئولية الفردية. ومن الفوائد التى تعود على الأطفال أيضا النمو

المعرفى الاجتماعى Sociocognitive عن الحياة والآخرين والعمل الجماعى وغيره من أشياء تؤثر فى تكوين الطفل ونشأته الاجتماعية. إذ أن "السوية" تبدأ – كصفة – فى التأصل لدى الفرد فى علاقاته الاجتماعية منذ نعومة أظفاره نتيجة لما يحيط به من متغيرات وما يؤثر فيه من عوامل.

وإضافة إلى ما سبق فقد تضمنت دراسة متخصصة آثاراً أخرى لاستخدام التعلم التعاونى على الطفل، منها: التقدير العالى للذات، ونمو القدرة على لعب أدوار متعددة، ونمو فى التفكير الناقد، ونمو فى القدرة على عرض نتائج الأعمال، وكذلك نمو القدرات الاتصالية اللغوية وغيرها.

من هنا فإن استخدام التعلم التعاونى فى تعليم الأطفال لا يهدف فقط اكتسابهم قدراً مناسباً من المعارف والمهارات، بل يهدف كذلك تنمية قدراتهم وإمكاناتهم الذاتية التى يستطيعون عن طريقها التعامل مع مواقف التعليم / التعلم وغيرها من مواقف حياتهم بفاعلية أدائية ومستوى عال من إدراك السببية.

ثانيا : التعلم التعاونى ... ماهيته وتاريخه وخصائصه ودور المعلم والمتعلم فيه :

فى خضم المتغيرات العالمية متسارعة الإيقاع والأثر فى كل مجالات الحياة أخذ الاهتمام بمستقبل الإنسان يتزايد – وهو فى واقعة اهتمام بالإنسانية ذاتها – متخذاً أشكالاً متعددة ومفصحاً عن تواجده بالقلق والرهبة والتوقعات ومحاولات استشراف المستقبل وحساب أبعاده، وكذلك المستقبلات البديلة مما ينعكس أثره بالضرورة على أداءات التربويين فى إعدادهم للنشء لمستقبل أكثر تشابكاً فى علاقات المتغيرات المختلفة به، وأعمق معنى فى رموز التفاعل بين الأفراد والجماعات وفى نتاج ذلك التفاعل أيضاً. فغالبية جهود التربويين يجب أن تعتمد على ما ينتظروه من المستقبل، وعلى إسقاطهم لصوره المُتوقعة وإمكاناته وحقائقه المختلفة. من هنا، يجوز القول أن تقبُل المسئولية عن المستقبل هى ذاتها تقبل للمسئولية عن حاضرنا الواقع مما يُملى (وأحيانا يفرض) على أنظمة التربية الرسمية إعداد الأفراد بطرائق مغايرة لما هو سائد، واعتماداً على معارف تنقسم – كما تورد بعض الأدبيات – إلى قسمين يتمايزان تمايزاً كبيراً وجوهرياً، هما.

* عن العالم المحيط بنا وما يُفسر حركته وظواهره من تعميمات يمتد أثرها لتنظيم جوانب الحياة وتوقُع التغيُّر فيها.

* عن العمليات العقلية أو المادية التى نُعالج بها النوع الأول إجرائيا لإدارة الجوانب المختلفة للحياة وإيجاد حلول لما يقع على أنساقها من تغير طبيعى أو صناعى موجب أو سالب.

ولعل من أهم الطرائق أو (المداخل) أو (التقنيات) أو (الأساليب) التى أصبح المربون يهتمون بها فى إعدادهم للنشء "التعلُم التعاونى". والذى يُعنى بتفاعل مجموعة محددة من الأفراد معاً ليحققوا هدفاً مشتركاً فى جو عمل إيجابى ظاهر من المجموعة كلها ومن كل فرد فيها. وهذا التفاعل "ليس بمثابة عمل مشترك موجه من فرد لآخر فقط، بل هو تفاعل ذاتى وتفاعل متداخل مع الذات. فالفرد لا يستثير الآخرين فحسب ولكنه يستثير ذاته فى نفس الوقت" دفعا لها ولذوات الآخرين من أجل إبداء مظاهر الكسب أو التحصيل.

وتذخر الأدبيات والبحوث المتخصصة بمسميات مختلفة للتعلُم التعاونى تستند فيها إلى صورة التفاعل التى أشير إليها من قبل. ومن ذلك مثلاً: مجموعة الأقران الأقربين Neer Peers، مجموعة تدريب الأقران Peer Coaching، مجموعة الكشف Group Investigation، الرؤوس المرقمة Procreant Heads، فريق التبادل Permutation Team، مجموعة التوالد Cohesive Group، العائلة المتماثلة Status Family، مجموعة التشارك Cohesine Group، ممثلو الشمول Comperhension Representatives، مجموعة العناصر الحيوية Vitality Elements Group.

وتؤكد المسميات السابقة جميعها أن التعلُم التعاونى يعتمد على مبادئ البنائية Constructivist التى تقول بأهمية وجود دور نشط للفرد فى محاولات تعلُمه وتحصيله. والبنيان هنا يكون "نمط التفاعل بين الأفراد فى الجماعة حيث يقومون معاً بأدوار معينة لتحقيق هدف مشترك. وبالأحرى فإن "تحرُك الفرد نحو تحقيق هدفه يُسهل تحرك الآخرين نحو تحقيق أهدافهم التى تجتمع فى الهدف الرئيس للجماعة.

وفكرة التعاون فى الكسب أو التحصيل ليست جديدة على المجتمع الإنسانى، ذلك أن المشاركة فى الجهد للخير مذكورة فى الكُتب السماوية ومأمور بها. ومن ذلك مثلا: "وتعاونوا على البر والتقوى ...."، والبر هنا اسم جامع لكل معانى الخير. وفى التلمود "إذا أردت التعلُم فاتخذ لك شريكاً".

وفى التاريخ القديم يجد المتفحص أن فكرة التعلُم التعاونى أشار إليها الفلاسفة الرومان حينما أكدوا على أن الفرد حين يُعلم فإنه يتعلّم مرتين، وهو ما أشار

إليه **كينتلليون** Quintillion فى القرن الأول الميلادى فى حديثه عن مدى إفادة التلاميذ من تعليم أحدهم للآخر. وألمح إليه **كومينوس** Comenius فى القرن السادس الميلادى من أهمية تعاون التلاميذ ليتعلم كل منهم وليتعلموا معاً. وفى عام ١٧٠٠م استخدم **لانكستر و بل** Lancaster & Bell مجموعات التعلُم التعاونى على نطاق واسع بإنجلترا. ثم انتقلت الفكرة بعد ذلك إلى أمريكا حيث طُبِقَّت بمدرسة لانكستر بنيويورك عام ١٨٠٦. وأيد جدواها فى العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر **فرانسيس باركر** Parker مؤكداً علاقتها بأبعاد الديمقراطية والحرية مما كان له أثر كبير فى ذيوعها بمعظم أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن عرّف **ديوى** J. Dewey "التعلُم التعاونى" طريقة للتدريس وأوصى فى كتاباته باستخدامها.

ولعل من أهم ما ساعد على انتشار التعلُم التعاونى نظرياً وتطبيقياً ظهور نظرية علم النفس الاجتماعى Social Psychology Theory، إذ يرى **كوفكا** Koffka أن مجموعات التعلُم التعاونى هى مجموعات تامة الدينامية تسمح باعتماد أعضاءها على بعض اعتماداً يتفاوت فى النوع والدرجة وفقاً لأهداف الأفراد وممساراتهم التحصيلية.

يشير العديد من الباحثين فى مجال التربية إلى أن هناك ثلاث أنماط من التعلم الصفى هى: التعلم التنافسى، والتعلم الفردى، والتعلم التعاونى.

ففى التعلم **التنافسى** يشجع التلاميذ على مقارنة أدائهم بأداء غيرهم مما يعكس آثارا سلبية على مدى تحقيق هذا التعلم أو ذاك، أما فى التعلم **الفردى** فإن التعزيز المرتبط بالتعلم ينجم عن مدى التحسن الذى يطرأ على أداء المتعلم ذاته ومستواه ما بين فترة وأخرى، أما فى موقف التعلم **التعاونى** فإن موطن التأكيد يكون على الأداء الكلى لمجموعة المتعلمين فى المجموعة التعاونية؛ بمعنى أنه حين يتحقق هدف التعلم لأحد المتعلمين فإن ذلك يعنى بالضرورة تحقق هدف التعلم بالنسبة لغيره من أعضاء المجموعة.

ولعل أكثر تلك الأنماط شيوعا فى فصولنا الدراسية تشجع نمط التعلم التنافسى حيث ينجم عن ذلك أن يكون هناك بعض التلاميذ الفائزين وبعض التلاميذ الخاسرين.

والتعلم التعاونى كأحد الاتجاهات الحديثة فى مجال التدريس يهدف ربط التعلم بالعمل والمشاركة الإيجابية من جانب التلاميذ. لذا لاقت هذه الاستراتيجية اهتماما كبيرا بسبب إمكانية استخدامها كبديل للفصل التقليدى الذى يؤدى إلى التنافس بين المتعلمين بدلا من روح التعاون، ومفهوم التعاون هنا يشير إلى العمل سويا للوصول إلى أهداف

مشتركة، وفى إطار الأنشطة التعاونية يسعى التلاميذ لتحقيق نواتج ذات جدوى لهم ولجميع أعضاء الجماعة حيث يلمس التلاميذ أن على كل منهم مسئولية معينة ولكل منهم أدوارا محددة لابد أن يمارسها حتى يتكامل العمل الخاص بالمجموعة كلها، وعليه يصبحون مسئولين عن تعلم بعضهم بعضا فى مواقف تعلم يمارسون فيها مهارات التفكير العلمى وسلوك الاكتشاف والاستقصاء، وتنمى لديهم العديد من المهارات المعرفية والاجتماعية سعيا لإفادة المجموعة من جهد كل فرد على حدة، أى أن أداء الفرد هو محصلة جهده وجهد زملائه.

أثبتت الدراسات السيكولوجية أن التعلم يتقدم وتزداد كفايته فى المواقف التعاونية وتزيد عنه فى المواقف الفردية، فالمجموعات التى تتنافس أو تتعاون فيما بينها تستثير سرعة التعلم وتزيد كفايته.

وفى التعلم التعاونى تتآلف أهداف الفرد مع أهداف زملائه نحو تحقيق أهداف الجماعة، ولقد ثبت أن التلميذ يمكن أن يتعلم من زميله كما يتعلم من معلمه ويمكن أن يكون هذا بصورة أحسن، كما أن كل مجموعة من الطلاب يمكنهم أن يتعلموا معا بحيث يكون الواحد منهم مسئولا عن مساعدة زملائه فى المجوعة، بالإضافة إلى تحمل مسئولية تعلمه للمادة الدراسية، ومن هنا كان الاهتمام بالمسئولية الاجتماعية، فلكى يحقق الإنسان وجوده الاجتماعى لابد له من تحمل العديد من المسئوليات الاجتماعية نحو المجتمع الذى يعيش فيه، وهذه المسئوليات لها أشكال، فقد تكون مشاركة فعلية، أو مشاركة وجدانية، أو تفكير فى مصالح الجماعة التى ينتمى إليها.

ويعد التعلم التعاونى Co –Operative Learning من الاستراتيجيات الحديثة التى تهدف تحسين وتنشيط أفكار التلاميذ الذين يعملون فى مجموعات، يعلم بعضهم بعضاً، ويتحاورون فيما بينهم بحيث يشعر كل فرد من أفراد المجموعة بمسئوليته تجاه مجموعته. إضافة إلى أن استخدام هذه الاستراتيجيات يؤدى إلى تنمية روح الفريق بين التلاميذ مختلفى القدرات، وإلى تنمية المهارات الاجتماعية، وتكوين الاتجاه السليم نحو المواد الدراسية.

إن التلاميذ الذين يعملون فى مجموعات عمل متعاونين، يستطيعون السيطرة على المواد التعليمية بصورة أفضل من التلاميذ الذين يعملون بصورة منفصلة، كما أنهم يتقبلون زملاءهم المتأخرين دراسياً، وقد تم تحديد أربعة عناصر أساسية للحصول على تعلم تعاونى مثمر، هى: أولا: الاعتماد الداخلى الإيجابى الذى يتحقق من خلاله

الأهداف المتبادلة وتقسيمات العمل، وتقسيم المعرفة بين الأعضاء، وتكليف الطلاب وإعطاء المكافأة، وثانياً: التفاعل المباشر بين الطلاب، وثالثاً: التأكيد على التمكن الفردى من التكليفات، ورابعاً: الاستخدام السليم للمهارات الفردية والجاعية.

ومعنى ذلك أن التعليم عملية اجتماعية ينمو فيها الطالب من خلال تفاعلاته مع الآخرين، وتعرفه على أفكار الآخرين. فمن المرغوب فيه أن يكون جو الفصل اجتماعياً سليماً، لا فردياً انعزالياً، وبالتالى فإن أهم أدوار المعلم الرئيسة هى إتاحة الفرصة الكافية لجميع الطلاب للمشاركة، والعمل كل حسب قدراته وإمكاناته من خلال تقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة، ويمكن أن يعمل أفراد المجموعة فى أزواج أو معاً بحيث تسعى كل مجموعة لإنجاز العمل المطلوب منها بالتعاون بين أفرادها من أجل تحقيق هدف مشترك أو هدف عام يتم التوصل إليه من خلال الاعتماد المتبادل.

ويمكن القول بأن كلاً من المدرسة والمجتمع فى حاجة ماسة إلى تحمل التلاميذ لمسئولياتهم الاجتماعية، وخاصة فى الوقت الراهن حيث أصبحت الحاجة إلى التلميذ المسئول اجتماعيا أشد إلحاحا فى المجتمع المعاصر، فالمسئولية الاجتماعية ذات طبيعة خلقية واجتماعية ودينية، وهى فى الوقت نفسه مسئولية ذاتية عن الجماعة التى ينتمى إليها الفرد، ومن ثم فإن ديناميكية العلاقات بين الفرد والجماعة تتوقف على طبيعة العلاقة والمصلحة المتبادلة بينهما.

والتعلم التعاونى وثيق الصلة بالمسئولية الاجتماعية إذ أن التعلم التعاونى يعتمد على عناصر أربعة أساسية يمكن أن تنمى المسئولية الاجتماعية لدى الطلاب، وهى:

- المهارات الاجتماعية (Social Skills) حيث يتطلب العمل فى المجموعة تعلم الأفراد بعض المهارات الاجتماعية التى يحرص المعلم على إكسابها للتلاميذ، مثل: الاستماع للآخرين، احترام الرأى الآخر، وتشجيع الآخرين على التعبير عن رأيهم بوضوح.
- المحاسبة الفردية (Individual Accountability) وتعنى أنه بالرغم من أن العمل يتم فى مجموعة إلا أن كل فرد فى المجموعة مطالب بمعرفة جوانب التعلم المرتبطة بعمل المجموعة، ويمكن للمعلم أن يتحقق من ذلك بتطبيق اختبار لكل فرد فى المجموعة أو أن يختار أحد التلاميذ عشوائياً ويوجه له سؤالاً أو يطلب منه توضيح ما قامت به مجموعته لتحقيق الهدف المطلوب منها.

- التفاعل بالمواجهة (Face To Face Interaction) وتعنى أن يكون التفاعل بين أفراد المجموعة وجهاً لوجه لفظياً وعملياً، ولتحقيق ذلك يجب ألا يزيد عدد أفراد المجموعة عن ستة أفراد.
- الاعتمادية الداخلية الإيجابية (Internal Positive Dependence) والتى تتمثل فى إدراك كل فرد فى المجموعة بأنه ليس مسئولا فقط عن تعلمه، بل مسئولا عن تعلم كل فرد فى المجموعة، فأى تقصير من أى فرد يؤثر على المجموعة ككل.

ويعتبر التعلم التعاونى أحد الاتجاهات الحديثة فى مجال التدريس، الذى يربط التعلم بالعمل والمشاركة الإيجابية من جانب الطلاب، وتتمثل أهدافه فى كونه:

١ – تعلم تجريبى أو عملى يتحقق من خلال ممارسات محددة.

٢ – تعلم قيادى؛ حيث يعلم التلاميذ أسلوب القيادة.

٣ – تعلم يساعد التلاميذ على اتخاذ القرارات دون تردد.

٤ – تعلم فعال يضمن تحقيق الأهداف الموضوعة سلفاً بدرجة كبرة.

وفى الآونة الأخيرة بدأ الاهتمام الفعلى بالتعلم التعاونى، إذ لاقت استراتيجياته اهتماماً كبيراً سبب إمكانية استخدامها؛ كبديل للتعليم التقليدى الذى يؤدى إلى التنافس بين المتعلمين بدلا من روح التعاون. وتنبع أهمية التعليم التعاونى فى أنه: يدرك أن البيئات التعليمية التنافسية تشجع الطلاب على التنافس مع بعضهم بدلا من التعلم فى شكل تعاونى، وأن التعلم التعاونى – إذا ما طبق بصورة مناسبة – له القدرة على المساهمة الإيجابية فى رفع مستوى التحصيل الأكاديمى، وتنمية المهارات الاجتماعية، وتقدير الذات.

أما خصائص التعلم التعاونى، وسماته، فتتمثل فى الآتى:

- يتم تنفيذه من خلال مجموعة من الاستراتيجيات، وليس من خلال استراتيجية واحدة، وهذا ما يميزه عن الاستراتيجيات التدريسية الأخرى.
- المواقف التدريسية فيه مواقف جماعية: لأنه يعتمد على تقسيم الطلاب فى مجموعات صغيرة يعملون معا لتحقيق أهداف مشتركة، يساهم فيها كل فرد بمجهود للوصول إلى الأهداف.
- يقوم المتعلم بدورين متكاملين يؤكدان نشاطه، وهما التدريس، والتعلم فى آن واحد بدافعية ذاتية، وذلك يؤدى إلى بقاء أثر التعلم.

- يوفر المهارات الاجتماعية لدى الفرد، مثل: مهارات العمل فى جماعة.
- يتطلب تحديد: أهداف واضحة للعمل، ووسائل اتصال جيدة، وتوزيع الأدوار وفق الإمكانات المتاحة، والعمل بروح الفريق.
- يحقق العديد من الأهداف التعليمية، كالجوانب المعرفية، والمهارات الأساسية، والمهارات ذات المستوى العالى، والتفكير بكل أنواعه ومهاراته، ولذلك هو تعلم فعال.
- تحقيق المسئولية الفردية، إذ يعتبر الفرد مسئولا عما يعهد إليه من أعمال فى إطار المجموعة.
- يحقق الدافعية للتعلم، والتى تعتبر شرطا أساسيا لحدوثه؛ لأن المكافأة هى بلوغ الأهداف المشتركة ولأنها جماعية أيضا.
- يُركز على الأنشطة الجماعية، والتى تحتاج إلى التخطيط قبل تنفيذها، وكذلك إعداد أدوات التقويم ومدى فعاليتها.
- يعمل على ضبط ومعالجة أعمال المجموعة، إذ يجب أن يتأكد المعلم من أن أعضاء الجماعة، يناقشون أدوارهم ومدى تقدمهم فى تحقيق الإهداف.

وتتحدد **مسئولية التعلم التعاونى** بالنسبة لكل من المعلم والمتعلم فيما يلى:

- أن تتحدد المشكلة أو الموضوع بشكل جيد وواقعى؛ بحيث يعرف كل فرد المشكلة والهدف منها.
- أن يتم تحديد أدوار كل طالب، ومسئوليته فى العمل ضمن جماعة.
- أن يعمل الجميع كفريق متعاونين لتحقيق الأهداف المنوطة بهم، وأن يعرف كل طالب مسئوليته الفردية والجماعية؛ وذلك يكون له مردوداته التربوية الإيجابية، مثل: احترام رأى الآخرين، والتعبير عن النفس، ووجهة النظر بثقة.
- أن يكون دور المعلم الإرشاد والتوجيه.

وعندما نتحدث عن دور المعلم فى إستراتيجية التعلم التعاونى، نقول: على الرغم من أن التعلم التعاونى يؤكد دور التلميذ وتفاعله بشكل مباشر فى عملية التعلم، فإن هذا التأكيد لن يقلل من أهمية الدور الذى يقوم به المعلم لضمان تحقيق الأهداف التعليمية المرجوة.

بمعنى؛ فى التعلم التعاونى يقتصر دور المعلم على الإرشاد والتشجيع والتوجيه وإطلاق طاقات التلاميذ حتى يتعلموا بأنفسهم بحرية من خلال الحوار الذى يدور بينهم فى مناخ يتسم بالحرية الفكرية وتبادل الآراء والأفكار والمعلومات، ويتحدد دور المعلم فى تنفيذ إستراتيجية التعلم التعاونى فى ثلاث مراحل هى:

(١) التخطيط والإعداد :

وتتضمن هذه المرحلة الخطوات التالية:

* تحديد الأهداف:

يصوغ المعلم الأهداف التعليمية المرجوة سواء فى المجال المعرفى أو الوجدانى أو المهارى فى صورة سلوكية.

* تحديد حجم المجموعات :

من المعتاد أن يتراوح عدد التلاميذ ما بين (٢ – ٧) تلاميذ مع أن العدد يتوقف على طبيعة المواد التعليمية والوقت المتاح للتعلم التعاونى وطبيعة المهمة الموكلة للتلميذ.

* توزيع التلاميذ على المجموعات :

يراعى أن تتألف كل مجموعة من تلاميذ مختلفى القدرات الأكاديمية والمهارات والاستعدادات، أى يجب أن تكون هذه المجموعات غير متجانسة بقدر الإمكان.

* تحديد الفترة الزمنية التى تعمل فيها كل مجموعة معا.

* تركيب حجرة الفصل :

يجب أن يجلس أفراد المجموعة على شكل دائرة حتى يحدث أكبر قدر ممكن من التفاعل بينهم.

* إعداد المواد التعليمية :

يعد المعلم المواد التعليمية بحيث تسمح للتلاميذ بالعمل التعاونى ثم يعرض كل فرد من أفراد المجموعة ما أنجزه أمام زملائه، ومن ثم يحدث نوع من التكامل لهذه الجهود لإنجاز المهام المشتركة.

(٢) تنظيم المهام والاعتماد المتبادل :

وتتكون من الخطوات الآتية:

* شرح المهام :

حيث يحدد المعلم لتلاميذه المهام أو المبادئ التى سوف يتعلمونها ويحدد معلوماتهم السابقة التى يمكنهم أن يبنوا عليها التعلم الجديد، هذا بالإضافة إلى شرح الأهداف المتوقعة للتلاميذ وتوضيح علاقة الأهداف بالمحتوى المرغوب فيه.

* تكوين الاعتماد المتبادل والتعاون لتحقيق الهدف :

يطلب المعلم من التلاميذ تقديم عمل موحد أو تقرير موحد فى نهاية كل تعلم، كما يوضح لهم أن الدرجات سوف تمنح لأعضاء الجماعة تعكس إنجازهم ككل، وبذلك يساعد التلاميذ بعضهم بعضا لكى يتعلموا معا كيف ينجزوا المهام المطلوبة.

* تحديد المسئوليات الفردية :

إذا كان الهدف من العمل فى مجموعات صغيرة متعاونة هو مساعدة كل عضو من أعضاء الجماعة على التعلم إلى أقصى درجة ممكنة فإن تكاسل بعض التلاميذ عن العمل لن يحقق النتيجة المرجوة. لذلك فإن المعلم بالإضافة إلى تقويمه لأداء المجموعة ككل فإنه أيضا يقوم بتقييم أداء كل فرد من أفراد المجموعة ويمنحه درجة معينة، ومن ثم يتحمل كل فرد مسئولية العمل التعاونى من ناحية، ومسئولية تعلمه كفرد مستقل من ناحية أخرى.

* التعاون المتبادل بين المجموعات :

إن التعاون المنشود لا يجب أن يتوقف عند حد التعاون بين أفراد المجموعة الواحدة، بل لابد أن يكون هناك تعاون بين المجموعات بعضها البعض، حيث يمكن لأى مجموعة إنتهت من عملها أن يساعد أعضاؤها بقية المجموعات الأخرى التى لم تنته من عملها.

(٣) المراقبة والتدخل والتقويم :

وتتم هذه المرحلة فى الخطوات التالية :

* ملاحظة سلوك التلميذ :

ينبغى على المعلم أن يلاحظ ويراقب السلوك التعاونى للتلاميذ، وفى هذه الحالة يمكنه أن يستخدم بطاقة ملاحظة يسجل فيها عدد المرات الدالة على سلوك تعاونى مرغوب فيه لدى التلاميذ.

* تقديم المساعدة لأداء المهمة :

يساعد المعلم التلاميذ فى القيام بتنفيذ المهام المطلوبة منهم وذلك عن طريق مراجعة الإرشادات والإجراءات التنفيذية، أو أن يجيب على أسئلة واستفسارات التلاميذ، فهذه المساعدة تعمل على تعزيز التعلم المرغوب فيه.

* إنهاء الدرس :

يعكس إنهاء الدرس سلوك التلاميذ أو المعلم، ففى هذه الحالة من الممكن أن يلخص التلاميذ ما تعلموه أو أن يطرح المعلم على تلاميذه أسئلة عن الأفكار الرئيسة فى الدرس، أو أن يقدم التلاميذ أمثلة للمفاهيم التى تعلموها ... وهكذا.

* التقويم :

يتناول التقويم ثلاثة جوانب هى: الجانب الأكاديمى والجانب الوجدانى والجانب المهارى المرتبطة بأهداف الدرس.

ويؤثر فى **فعالية وجودة التعلُم التعاونى**، عدة عوامل يمكن تصنيفها فى فئات ثلاث، هى:

- الجهد التحصيلى للطفل فى المجموعة Effort to Achieve.
- الصحة النفسية لأطفال المجموعة Psychological Health.
- العلاقات الشخصية الإيجابية Positive Interpresonal Relationships.

وهنا يبدو دور المُعلِم مهماً فى تكوين المجموعات وتنظيم تواجدها وإدارتها وتوزيع المهام التعليمية – إن لزم – والملاحظة العميقة لمشاركات الأطفال فى عمل المجموعة التى ينتمون إليها، كما يتضمن دور المُعلِم توقُع أساليب مشاركات الأطفال وما قد يعوق جهودهم، وكذلك يتضمن إعداد بدائل مختلفة لنُظم التعزيز وأدواته وكيفية حفز تحصيل الأفراد والمجموعات.

وعليه، من المهم ضرورة إنهاء اللقاء التعاونى بصورة مناسبة. وقد يكون ذلك على سبيل المثال بطريقة أو بأخرى مما يلى:

(١) إن كانت كل المجموعات تشترك فى حل مشكلة واحدة، تتحمل كل مجموعة مسئولية جزء منها. فإن على المُعلِم فى نهاية اللقاء أن يُذكِّر المجموعات بعناصر المشكلة التى تمت مدارستها ودور كل مجموعة من المجموعات، ثم يستمع بعناية إلى تقرير كل مجموعة عن جهدها وكيفية توصلها للحل، وقد يسمح للمجموعة –

خاصة حين يكون الأفراد أطفالاً – باستخدام ماكيت أو لوح مكبر أو غير ذلك حين عرضهم. وبعد كل التقارير يوجز بنفسه ما يجب عمله محاولاً استخدام نفس لغة الأطفال وأساليب تعبيرهم، ثم يقدم التعزيز الملائم.

(٢) إن كانت المشكلة التى تتناولها مجموعة ما هى نفسها المشكلة التى تتناولها كل مجموعة من المجموعات الأخرى، فإن المُعلِم بعد انتهاء عرض تقارير كل المجموعات عما قامت به كل منها لحل المشكلة يعرض بإيجاز ما قامت به كل مجموعة ويفاضل بين جهود المجموعات مرجعاً تفضيله إلى منطق مقبول من الأطفال ومعتمداً على تأييدهم له، ويقوم بعد ذلك بالتعزيز الذى يجب أن يعرف الأطفال بوجوده ونوعه قبل بدء الأداء.

(٣) إن كانت المشكلة – التى تحلها كل مجموعة وحدها أو تشترك مجموعات فى حلها – من الدرجة الدنيا بين المشكلات فإن المُعلِم قد يطلب من أحد التلاميذ القيام بدوره هو عارضاً ومعقباً كنوع من التشجيع على التعبير عن الذات وعن الآخرين وكذلك كأحد أساليب التدريب على القيادة.

ويأتى دور المُعلِم بعد انتهاء اللقاء التعاونى، مع بداية اللقاء التعاونى الثانى، حيث يتطلب الأمر استرجاعاً لجهود المجموعات وتذكيراً بأسلوب التعاون وملاحظاته حول ما تم فى اللقاء السابق وما يراه من أسلوب مناسب لتجويد أداء المجموعات فى اللقاء القادم.

فى ضوء ما تقدم، يمكن تلخيص **دور المعلم** فى التعلم التعاونى، فى الآتى:

- صنع القرارات قبل أن يبدأ الدرس: وتتمثل هذه القرارات فى تحديد الأهداف التعليمية والاجتماعية للموضوع، وتحديد حجم العمل الملائم للمجموعة.
- ترتيب الطلاب بحرية، ومرونة، وفقاً للأهداف التى يسعى إلى تحقيقها، وتحديد حجم المجموعات سواء أكانت مجموعات غير رسمية، أو مجموعات أساسية، أو مجموعات مترابطة، أو مجموعات معاد تشكيلها، وذلك وفقا للاستعدادات والقدرات.
- التخطيط للدرس؛ وذلك بتنظيم المحتوى تنظيما قائما على التفاعل الإيجابى للطلاب، مع شرح وتوضيح أبعاد المهام التعليمية المطلوب تحقيقها من كل مجموعة من المجموعات، ومن كل طالب داخل كل مجموعة.
- تدريب الطلاب، وتوجيههم نحو عناصر التعاون الأساسية.

- مساعدة الطلاب – فى مرونة – على تغيير أنشطتهم.
- متابعة الأفراد وتوجيههم نحو عناصر التعاون الأساسية.

ويتطلب تحقيق دور المتعلم – وفق استراتيجية التعلم التعاونى – القيام بدور نشط وفعال، ضمن ظروف اجتماعية تختلف تماماً عن المواقف التى تمارس فى الظروف الصفية العادية، إذ يجب أن يقوم بمواقف تمهيدية فعالة ومتنوعة، مثل:

- جمع المعلومات والبيانات، وتنظيمها.
- تنظيم الخبرات، وتحديدها، وصياغتها.
- ممارسة العصف الذهنى، وهو الذى يتيح الفرصة للمتعلم للتفكير فى الموضوع، وأيضا فى الموضوعات الفرعية المتصلة به.
- تحديد الأساليب التى تساعد المتعلم على التعبير عن ذاته، وتنمية قدراته واستعداداته.
- تحديد طرائق مساعدة المتعلم الضعيف، وتعريفه كيفية التعاون مع زميله المتفوق.
- تنشيط المتعلم لخبراته السابقة، وربطها بالخبرات والمواقف الجديدة.
- لفت نظر المتعلم لأهمية التعود على الاستقلالية فى اتخاذ القرارات.
- كتابة تقارير لما توصل إليه من أفكار ونقاط أساسية.
- مساعدة المتعلم على إتباع منهجية أسلوب التقويم الذاتى الفردى، من خلال استمارة تعد لهذا الغرض.

ثالثا : طبيعة التعلم التعاونى والأسس التى يقوم عليها وأنماط تفاعله وتقسيم مجموعاته :

تقوم نظرية التعلم التعاونى على ركيزتين أساسيتين تسهمان فى تحقيق العائد الأفضل تعليميا واجتماعيا، فمن ناحية يمثل رأى (بياجية) فى أن النمو المعرفى والنمو الاجتماعى أمران متداخلان وأن نمط التعلم الذى يأخذ فى الحسبان البعد الاجتماعى ينجم عنه ناتج تعليمى أكاديمى أفضل. ومن ناحية أخرى فإن هناك الكثير من البحوث التى أثبتت أن الأفراد الذين يعملون مع بعضهم البعض فى إطار تعاونى يتقبلون بعضهم البعض بصورة أكبر ومن ثم يساعدون فى تعلم بعضهم البعض.

وفى هذا الصدد، رغم تعدد صور المواقف التعاونية فى المجال التعليمى، فإن صيغة وإجراءات موقف التعلم التعاونى تتضمن مجموعة من التلاميذ يعملون سويا فى

مجموعات صغيرة تضم كل منها أفراد متفاوتين من حيث القدرات. وعادة ما يحدد حجم المجموعة بأربعة أفراد أحدهم من ذوى القدرة المرتفعة تحصيليا وإثنان متوسطى القدرة التحصيلية والرابع متدنى القدرة التحصيلية.

وقد أوضح **جاك** ١٩٨٨ (Jaques) أن عدد المجموعة يمكن أن يتراوح ما بين ٥ – ٧ أفراد، ويذكر **(جاك)** أنه كلما كانت الجماعة غير متجانسة كان أداؤها أفضل من حيث التفاعل الاجتماعى والتحصيل الأكاديمى وإتقان المهارات، وذلك لأن التلاميذ المتفوقين فى الجماعة سوف يسهمون بصورة أكثر فعالية فى مساعدة زملائهم غير المتفوقين، بينما يرى **"جونسون وجونسون"** أن عدد أفراد الجماعة يمكن أن يتراوح بين ٢ – ٧، كما يقترح **جونسون** وزملائه أن تكون الجماعة المتعاونة غير متجانسة من حيث تحصيل أفرادها؛ بمعنى أن تتضمن تلاميذ متفوقين وآخرين متوسطين فى التحصيل وآخرين متدنيين فى مستوى التحصيل.

وفى موقف التعلم التعاونى فإن أعضاء المجموعة ليسوا مسئولين فقط عن تعلم المادة التى تقدم فى غرفة الدراسة، ولكن أيضا عن مساعدة زملائهم على التعلم حيث يدرس الجميع مع بعضهم البعض ولا تكون هناك مهام منفصلة لكل منهم.

فالتعلم التعاونى – كإستراتيجية تعليمية – يتضمن توجيه عملية التعلم لمجموعات صغيرة تدفع المتعلمين أن يعملوا مع بعضهم البعض ساعين للوصول بتعلم كل منهم لأقصى حد ممكن. وطبقا لهذا الأسلوب فإن أفراد الفصل يقسمون إلى مجموعات صغيرة وتتسلم المجموعة إطار العمل أو التعيين المكلفة به والإرشادات المتعلقة بالسير فيه، ويعكف أعضاء المجموعة على العمل سويا حتى يتسنى لكل منهم الفهم والاستيعاب. وفى ذلك يتوجب عليهم حسم الفروق والاختلافات بينهم ومن ثم يدركون أن ثمة دافع فى نجاح كل فرد منهم فى مهامه ويصبحون مسئولين عن تعلم وإتقان تعلم كل منهم على حدة.

وبصرف النظر عن نوعية المعلومات والمهارات التى يتعلمها التلاميذ وطبيعتها فإن التعلم التعاونى الفعال أساسه صبغ المكونات الرئيسة للدرس التعاونى بالصبغة الإجرائية، وفى ذلك فهو يتطلب ما يأتى:

(١) الاعتماد الإيجابى المتبادل بين أفراد المجموعة Positive Interdependence والذى يتحقق حين يدرك كل عضو فى المجموعة أنه على صلة بالآخرين وأن النجاح فى تحقيق أهداف التعلم لا يتحقق إلا إذا ارتبط بهم فى مجموعته، ومن ثم فعليه تنسيق جهده مع جهود الآخرين لإتمام المهمة على أكمل وجه. وبالمثل فإن

نجاح المجموعة فى تحقيق أهداف التعلم لا يتحقق إلا بتحقيق أهداف كل فرد من أفرادها. وهذا الاعتماد المتبادل بين التلاميذ لا يترك للصدفة وإنما يخطط له المعلم مسبقا عند تصميم مواقف التعلم التعاونى.

(٢) إتاحة الفرص أمام التلاميذ للتفاعل الارتقائى المباشر وجها لوجه عن طريق مساعدتهم وتشجيعهم بل ومدحهم لبعضهم البعض على ما يقدمونه، وفى ذلك فإن العديد من الأنشطة المعرفية والتفاعلات الشخصية المتداخلة تحدث فقط حين ينغمس التلاميذ فى الشرح بعضهم البعض، كذلك فإن التفاعل المباشر وجها لوجه بين أعضاء الجماعة من شأنه أن يبرز الأنماط والتأثيرات الاجتماعية للتفاعل، ومن ثم فإن التأثير المتبادل فى تفكير بعضهم البعض سوف يؤدى إلى حفز همم ذوى المستويات المنخفضة على أن يكونوا فى مستوى توقعات الآخرين، وذلك يجعلهم يحققون المزيد من الجهد للتعلم، وبذلك تكون العلاقة بين تحقيق الفرد لأهدافه وتحقيق زملائه لأهدافهم علاقة إيجابية؛ بمعنى أنه عندما يسعى لتحقيق هدفه إنما يدعم ويعزز ويسهل تحرك زملائه نحو تحقيق أهدافهم.

(٣) المحاسبة الفردية Individual Accountability، التى هى فى حقيقة الأمر بمثابة صورة من التغذية الراجعة، حيث تتعرف المجموعة على استعدادات وقدرات ومهارات أعضائها ومن بحاجة إلى مساعدة ودعم وتشجيع، ومن الذى يتقاعس عن أداء المهام ... وهذا من شأنه إحداث التناسق والتنسيق فى جهود أفراد المجموعة على اعتبار أنهم جميعا شركاء فى تحقيق الهدف الجماعى.

(٤) الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من إمكانات ومهارات كل فرد فى المجموعة ومختلف المجموعات، ولكى يتحقق ذلك فإن تنظيم المجموعة فى الدرس التعاونى يعتبر السبيل لتحقيق ذلك، ويتم هذا عن طريق مناقشة المجموعة لكيفية أدائهم وتحقيقهم لأهدافهم بفاعلية، وبهذا يمكن لمجموعات التعلم التعاونى التساند فى الحفاظ على استمرارية الجماعة وكذا تيسير تعلم المهارات المشتركة ذات الصبغة التعاونية، بالإضافة إلى أن ذلك يتيح لعضو المجموعة الوقوف على نتيجة المشاركة وكذا إسهامات الآخرين أى تمثل نوعا من التغذية الراجعة المباشرة للأفراد.

وفى حين يميل السلوك التعاونى نحو تحقيق أعلى إنجاز فى جميع الأعمال المتعلقة بالمدرسة فإن أفضلية وتفوق الاتجاه التعاونى فى التعلم على الاتجاه التنافسى ترجع إلى أن التعلم التعاونى:

* يتصف بزيادة المساعدة والتماسك بين الأفراد أثناء تحقيق الهدف بينما يتصف التنافس بانخفاض فى المساعدة والتماسك بين الأفراد أثناء تحقيق الهدف.
* يتسم بزيادة الاتصال اللفظى والشفهى والإرشادى بين الأفراد أثناء العمل معا، فى حين يميل الأفراد فى التنافس إلى عدم الاتصال بزملائهم.
* الأفراد فى التعاون يبذلون الجهد معا للوصول إلى المعلومات والأفكار والآراء وتسجيلها بطريقة منظمة للوصول إلى الهدف معا، بينما فى التنافس يبذل كل فرد أقصى جهد لديه للوصول إلى المعلومات بمفرده وإنجاز الهدف الذى يزيد من فشل الأفراد الآخرين.
* إن كل فرد فى التعاون يحاول التأثير إيجابيا فى أفكار زملائه بينما فى التنافس يحاول الفرد التأثير سلبيا فى أفكار زملائه، وذلك بتقديم معلومات خاطئة تعوق تقدمهم.
* يتسم التعاون أيضا بأن الأفراد يكونون أقل توترا وخصومة مع الأفراد الآخرين وتزداد الثقة المتبادلة بينهم والآخرين، ويزداد إحساسهم بالثقة بالنفس وتحقيق الذات وتقديرها وارتفاع فى الصحةالنفسية. بينما يزداد التوتر والخصومة بين الأفراد فى التنافس وتنخفض أيضا الثقة بالنفس ويقل تقدير الفرد لذاته.

وبالنسبة لأنماط التفاعل ومقومات التعلم التعاونى، تؤكد الخبرة وتبين الأدبيات والبحوث أهمية استخدام أنماط متنوعة التفاعل مع المتعلمين وعلى الأخص مع الأطفال منهم. وقد استخدمت مرادفات عدة لمصطلح "أنماط التفاعل"، مثل: "تكنيكات التعاون"، "طرق التكوين الإجرائى"، و "نماذج التعاون"، و "قواعد التفاعل"، و"مداخل التفاعل" .. إلى غير ذلك من مسميات، ليست لها فروق ذات دلالات عملية أو نظرية فيما بينها. ومن هذه الأنماط:

- التجمع الشبكى Jigsaw:

حيث يتم تقسيم الأطفال إلى مجموعات كل منها يتكون من ٣ : ٦ أطفال غير متجانسين وتتحدد مسئولية كل منهم فى إيضاح أو شرح أو تدريس جزئية مُعينة للأطفال الآخرين.

- جماعة البحث Group Investigation:

حيث يكون الاعتماد فيها على التعاون بين المجموعات إضافة إلى التعاون بين أعضاء كل مجموعة على حدة، فتكون كل مجموعة مسئولة عن عمل معين يتم توزيعه بين أعضاءها، وبإتمام أعمال المجموعات يتحقق الهدف من التعاون وبالتالى فإن التكامل فى الجهد يتحقق وهو أمر مرغوب دائماً.

- حلقات التعلُم Learning Circles:

حيث يتم تنظيم الغرفة بحيث يجلس الأطفال متواجهين فى مجموعات يتراوح عدد أفراد كل منها بين ٢ : ٦ أطفال، ويتم إعطاءهم مجموعة من التعليمات حول مادة ما أو موضوع ما فى صورة مناسبة لمستويات نموهم ونضجهم. ويتحدد دور الأطفال فى التعاون معاً – دون معين – والتشارك فى تعرُف أبعاد المادة أو الموضوع ومدارسته والتعبير عما حصلوه بأى طريقة يرغبون.

- الجماعات الصغيرة Small Groups:

حيث يتم تنظيم الأطفال فى مجموعات يتراوح عدد أفرادها بين ٣ : ٤ غير متجانسين، ثم يعطيهم المعلم مشكلة ما لمدارستها معاً ويتابع قواعد الاتصال فى سلوكيات أداءهم وذلك بهدف تنمية مهارات التفكير المنطقى والبحثى لديهم، وتأكيد قدرتهم على الاكتشاف من العالم المحيط بهم، واعتمادهم على أنفسهم فى تفكر المعارف والخبرات السابقة.

ومن استعراض الأنماط السابقة الأشيع استخداماً فى السنوات الأول من التعليم، يمكن تعميم أمرين:

* أن تقسيم الأطفال إلى مجموعات يتم على أساس من عدم التجانس داخل كل مجموعة.
* أن ذلك التقسيم لابد أن يهدف – كما سبق الإشارة – تعظيم دور كل طفل وتعلُمه على حدة، ومن ثم تعظيم دور وتعلُم المجموعة ككل، وبالتالى المجموعات كلها.

كذلك يمكن الاتفاق على إيجاز مقومات التعلُم التعاونى الناجح، على النحو التالى:

- وحدة الهدف لأفراد المجموعة الواحدة.
- أداء جماعى منظم بقصد تحقيق الهدف.

- اعتماد موجب متبادل بين أفراد المجموعة الواحدة.
- تفاعل متزايد وجهاً لوجه بين أفراد المجموعة الواحدة.
- مشاركة فردية وجماعية فى الموارد والتعزيز.

إن المقومات السابقة يمكن تعميمها سواء أكان التعلُم التعاونى يُستخدم لإنجاز مهمة واحدة قصيرة المدى أو طويلة المدى، حيث تُسمى المجموعات حينئذ مجموعات رسمية (F.C.G.) لأن كل منها يُكلف بأداء عمل معين فى فترة زمنية تتراوح بين ساعة وثلاثة أسابيع، أم كان التعلُم التعاونى يُستخدم خلال درس واحد ولدقائق حيث تُسمى المجموعات حينئذ مجموعات غير رسمية (Adhoc)، أم كان استخدام التعلُم التعاونى لمدد طويلة متغايرة مع ثبات عضوية أفرادها لمدة قد تصل إلى عام كامل أو أعوام متتالية بهدف تشجيع ودعم ومعاونة كل فرد لتحقيق تقدم فى التحصيل ربما فى مقرر واحد فقط، وتُسمى المجموعات حينئذ مجموعات أساسية (C.B.G.).

ومما يذكر تعددت نماذج واستراتيجيات التعلم التعاونى فى تقسيم المجموعات، ويبرز أهمها فيما يلى:

(أ) تقسيم جونسون وجونسون (١٩٩٠) :

ويؤكد أهمية التعليم التعاونى للطلاب، ويتم من خلال خمسة عناصر للتعلم التعاونى، هى:

- الاعتماد الإيجابى لأعضاء الفريق على بعضهم البعض، بحيث يعتقد الطالب أنه مسئول عن نجاحه ونجاح المجموعة ككل.
- التفاعل وجها لوجه، على اعتبار أن الطلاب فى حاجة إلى التفاعل عضويا، ولفظيا لتحقيق التعلم المرغوب.
- المسئولية الفردية، على أن يتعلم كل طالب المحتوى الدراسى المقدم له، ويعكس تمكنه من المادة فيما بعد.
- المهارات الاجتماعية، وهى تمثل المهارات التعاونية الضرورية لكل طالب فى المجموعة.
- متابعة مهام المجموعة وتقويم الأداء، وتعنى التغذية الراجعة لتحسين الأداء، وتطوير المهارات التعاونية.

ويتم تقسيم الطلاب فى مجوعات صغيرة بحيث تتكون كل مجموعة من (٤- ٥) طلاب.

(ب) تقسيم سلافين (١٩٧٨) :

وتقوم استراتيجيته على:

- تقسيم الطلاب إلى مجموعات متباينة فى التحصيل الدراسى، والجنس، والأصل.
- تتكون كل مجموعة من (٣ – ٥) طلاب.
- يقدم المعلم الدرس فى بداية الحصة لجميع الطلاب.
- يتعاون طلاب كل مجموعة فيما بينهم، ويساعد كل منهم الآخر بهدف التمكن من المادة العلمية المقدمة إليهم.
- يتم تطبيق اختبار تحصيلى لجميع الطلاب على أن يؤديه كل طالب منفردا، دون مساعدة من الآخرين.
- تقارن درجة كل طالب فى الاختبار بدرجته فى الاختبار السابق والفروق بينهما تضاف إلى الدرجة الكلية للفريق.
- الفريق الذى يصل إلى المستوى الذى حدده المعلم مسبقا يحصل على جائزة مادية أو معنوية.
- يتم إعادة تكوين المجموعات كل فترة زمنية.

ومن مميزات هذه الاستراتيجية أنها قابلة للتطبيق فى جميع المواد الدراسية، ولجميع المراحل التعليمية.

(ج) تقسيم محمد إسماعيل (٢٠٠٠) على أساس النوع، حيث يتم التقسيم إلى خمسة أنواع، هى:

- المجموعات غير الرسمية: وتهدف إعطاء الطلاب مجالا فوريا للتحدث والمناقشة واستثارة زملائهم. وهى تستخدم فى أى وقت، فالطلاب يمكنهم أن يلخصوا، ويراجعوا، ويحللوا المعلومات، أو يطرحوا أسئلة جديدة. وتتم عن طريق مجموعة من الاستخدامات، هى: الممارسة الموجهة، وعصف الذهن، والمناقشة الموجهة، وكتابة التقارير السريعة.
- المجموعة الأساسية: وتهدف تشجيع الطلاب على التعلم على المدى البعيد، حيث يجلس الطلاب معا فترات طويلة – تصل إلى فصل دراسى كامل – وتتكون

المجوعة من اثنين أو ثلاثة، أو أربعة طلاب. ولتحقيق التجانس فإنه يمكن تشكيل المجموعة على أساس الاهتمامات الأكاديمية المشتركة للطلاب. ويختار الطالب من يشاركه مجموعة العمل. وهذا التقسيم يتيح الفرصة أمام الطالب للقيام بمهمة التعليم، فهو يعلم زميله، ويراجع له، ويرشده لممارسة المهارات، ويصحح التقارير، ويناقش الواجبات. وأيضا يناقش الطلاب مدى تقدمهم، والأحداث الجارية، والقراءات الخارجية وغيرها.

- المجموعات المترابطة: وتهدف إعطاء الطلاب فرصا لتعليم بعضهم البعض فى عملية إشرافية، وهى تتشكل عندما تتقابل مجموعتان أو أكثر معا، لمناقشة أعمالها. وتتمثل استخداماتها فى بناء المعلومات وتركيبها، أو فى تحليلها، وكذلك العرض الجماعى (أى عرض كل مجموعة لأعمالها على المجموعات الأخرى).

ويتم تقسيم الفصل إلى مجموعات تعاونية صغيرة بحيث تضم كل مجموعة (٥) طلاب، وذلك لضمان التفاعل والتعاون وتحديد المسئولية، والمشاركة الفعالة لكل طالب، ولتكون له مهمة محددة.

ومما سبق نستخلص ما يلى:

التعلم التعاونى أحد الاتجاهات الحديثة فى التدريس، يعمل على تنمية المهارات المختلفة سواء كانت مهارات علمية، أو أدبية، وكذلك تنمية مهارات تعاونية من خلال عمل الطلاب فى مجموعات صغيرة. وأن استراتيجية التعلم التعاونى طريقة حديثة ومبتكرة، يمكن أن تقدم نمطا جديدا من طرائق التدريس الفعالة، التى تسهم فى تطوير تفكير المتعلمين.

رابعا : استراتيجيات التعلم التعاونى :

تتمثل أهم هذه الاستراتيجيات، فى الآتى:

(١) دوائر التعلم (التعلم التعاونى الجمعى) Circles of Learning:

فى هذه الاستراتيجية يعمل التلاميذ معا فى مجموعة ليكملوا منتجاً واحداً يخص المجموعة ككل، لذلك يشاركون فى تبادل الأفكار ويتأكدون من فهم أفراد المجموعة للموضوع. وقد وضع جونسون كتاباً عن دوائر التعلم يشتمل على خطوات متعددة على المعلم أن يراعيها عند استخدامه هذه الاستراتيجية.

وعليه يجب أن يحدد المعلم الأهداف التعليمية التى من المتوقع أن يحققها التلاميذ بعد دراسة أحد الموضوعات، ويوزع التلاميذ على مجموعات صغيرة بحيث يتراوح عددها ما بين (٣ – ٥) تلاميذ، على أن تكون هذه المجموعات غير متجانسة.

وفى استراتيجية التعلم معا (دوائر التعلم) يوجه المعلم التلاميذ إلى الجلوس على شكل دائرة حتى يحدث أكبر قدر من التفاعل والانسجام بينهم أثناء التعلم، ثم يحدد المهام التى سوف يتعلمونها فى ضوء الأهداف التعليمية التى وضعت مسبقاً، ويحدد أيضاً الخبرات السابقة (المفاهيم والعلاقات والنظريات ... إلخ) ذات العلاقة بتعلم الموضوع الجديد.

وفى دوائر التعلم يطلب المعلم من التلاميذ فى كل مجموعة تقديم تقرير موحد أو حلول محددة لمشكلة ما فى نهاية التعلم، ويوجه التلاميذ داخل المجموعات إلى التعاون المتبادل بينهم. ويجب أن لا يتوقف التعاون عند كل مجموعة على حدة، إذ يمكن لأى مجموعة انتهت من التكليفات المطلوبة منها، أن تساعد بقية المجموعات الأخرى فى الفصل أو المعمل أو المكتبة ... إلخ.

(٢) عمل التلاميذ فى فرق Students Teams Achievement Division (STAD):

فى هذه الاستراتيجية يتم تقسيم التلاميذ إلى فرق بحيث يتكون كل فريق من أربعة أعضاء غير متجانسين تحصيلياً بحيث يدرس أعضاء كل فريق موضوع تعليمى معين يستغرق زمن الحصة الدراسية، وبحيث يساعدون بعضهم ويتعلمون معاً ثم يتم تقسيمهم مرة أخرى بناء على التحصيل السابق. وفى التقسيم الثانى يقدم لهم أسئلة فردية يجيب عليها كل عضو من أعضاء كل فريق، وهنا يحدث التنافس الفردى. ويجب أن تكون هذه الأسئلة تطبيق على الموضوع الذى تم تعلمه فى التقسيم الأول.

وفى هذه الاستراتيجية يكون لكل تلميذ درجتان: أولهما فى أدائه السابق أثناء تعلم أحد الموضوعات، وثانيهما فى أدائه اللاحق أثناء إجابته على الأسئلة التقويمية، والدرجة الأصلية (الفرق بين الدرجتين) تضاف إلى درجة فريقه الأصلى وهكذا لبقية أعضاء الفريق وبذلك تكون درجة الفريق المرتفعة هى الدرجة الفائزة أسبوعيا. ويعلن المعلم أسماء الفائزين على مستوى الفصل الدراسى.

وهذه الاستراتيجيات تزيد من دافعية التلاميذ نحو الحصول على درجات مرتفعة خاصة أن التلاميذ ينتقلون من فريق إلى آخر بهدف المسابقات الأسبوعية.

(٣) التنافس الجماعى (بين المجموعات) Intergroup Competition:

تعتمد هذه الاستراتيجية على التنافس بين المجموعات من خلال تقسيم التلاميذ داخل الفصل إلى مجموعات تعاونية حيث يتعلم أفراد كل مجموعة الموضوع الدراسى

ثم يحدث التنافس بين مجموعة وأخرى من خلال أسئلة تقدم إلى المجموعات ثم تصحح إجابات كل مجموعة وتعطى الدرجة بناء على إسهامات كل عضو فى الجماعة بحيث تعتبر الجماعة الفائزة هى الحاصلة على أعلى الدرجات بين المجموعات.

وفى الحصة الدراسية، يحاول المعلم أن يطبق هذه الاستراتيجية من خلال خلق حوار ومناقشة بين أعضاء الجماعة بحيث يحاول كل تلميذ التأثير إيجابيا فى أفكار زملائه. وأثناء كتابة تقرير العمل يشتركون معا، ويصححون الخطوات الخاطئة بحيث يتوصلون معاً إلى منتج واحد صحيح. وبعد ذلك يحدث التنافس بين المجموعات من خلال التقويم والأسئلة التى تقدم إلى كل مجموعة إضافة إلى تصحيح الحلول والبراهين التى كتبت من قبل المجموعات أثناء تعلم المهام التى يكلفون بها.

وتتميز هذه الإستراتيجية بوجود الاعتماد الإيجابى المتبادل فى تحقيق الهدف Positive Goal Interdependence بين أعضاء الجماعة الواحدة ووجود اعتماد سلبى متبادل Negative Goal Interdependence بين الجماعات، إضافة إلى الجمع بين التعلم التعاونى والتعلم التنافسى فى آن واحد.

(٤) الاستقصاء التعاونى Cooperative Inquiry:

تعتمد هذه الاستراتيجية على جمع المعلومات من مصادر متعددة بحيث يشترك الطلاب فى جمعها فى صورة مشروع جماعى، ثم يخطط المعلم والتلاميذ معاً بحيث يكلف كل فرد فى المجموعة بمهام معينة، بحيث يوجه المعلم التلاميذ إلى مصادر متنوعة ويقدم لهم أنشطة هادفة ثم يحلل التلاميذ المعلومات ويتم عرضها فى الفصل أو المعمل ويتم التقويم من خلال التلاميذ أنفسهم حيث تقوم المجموعات بتقييم بعضها تحت إرشاد وتوجيه المعلم.

وهذه الاستراتيجية يطلق عليها الاستقصاء التعاونى Cooperative Inquiry لاعتماد الطلاب على البحث والمناقشة وجمع المعلومات، حيث يقدم المعلم المفهوم أو القاعدة أو النظرية أو المشكلة المطلوب حلها، ويترك المجموعات تستقصى معاً من خلال الكتب والمجلات المتوافرة فى مكتبة الفصل أو المدرسة، وفى نهاية الدرس يقدم المعلم اختباراً فى المفاهيم أو الموضوعات التى بحثت وتمثل الدرجات التى يحصل عليها كل فرد فى مجموعته المنتج الكلى للمجموعة.

(٥) التكامل التعاونى للمعلومات المجزأة Jigsaw:

وتعتمد هذه الاستراتيجية على تجزئ الموضوع الواحد إلى موضوعات ومهام فرعية تقدم إلى كل عضو من أعضاء المجموعة الواحدة، وتكون مهمة المدرس الإشراف على المجموعات، إضافة إلى تميزها بكامل المعلومات المجزأة من خلال أسلوب تعلم جمعى يطلب من كل طالب تعلم جزء معين من الموضوع المراد دراسته فى الموقف التعليمى ثم يعلم كل طالب ما تعلمه لزميله بعد ذلك وهنا يحدث الاعتماد الإيجابى المتبادل بين الطلاب.

ويخصص المعلم المهمات وفقا لعدد الأعضاء فى كل مجموعة بحيث يقدم للعضو الأول (مهمة أ) ويقدم للعضو الثانى (مهمة ب) وللعضو الثالث (مهمة ج) وللعضو الرابع (مهمة د) وللعضو الخامس تمرين تطبيقى (مهمة هـ) بحيث يجتمع الأعضاء ممن أخذو المهمات المتشابهة على مستوى الفصل من كل جماعة وتشكل مجموعات جديدة ويناقش الطلاب مهامهم كى يتعلموها معاً.

(٦) ألعاب ومسابقات الفرق Teams – Games - Tournaments:

تعتمد هذه الاستراتيجية على تقسيم التلاميذ إلى فرق دراسية ويتكون الفريق من ٣ – ٤ أعضاء يدرسون الموضوع أو الوحدة التعليمية معاً ثم يقسمون بعد ذلك بناءً على تحصيلهم، ويحدث تسابق بعد ذلك بين كل ثلاثة أو أربعة تلاميذ متجانسين تحصيلياً فى الوحدة أو الموضوع الذى درسوه ويتيح هذا الأسلوب للتلميذ الانتقال من فريق إلى آخر فى ضوء نتائج المسابقات.

ويقسم المعلم الطلاب داخل الفصل أو المعمل إلى فرق ويقدم لهم لغزاً كتمهيد لموضوع ما ويتعلمونه معاً فى الحصة الأولى (الموقف التعليمى الأول) من خلال تقديم أوراق عمل والمرور والاشتراك فى المناقشة أحياناً، وفى الحصة الثانية (الموقف التعليمى الثانى) يحدث المسابقة بشرط أن تكون المادة التعليمية المختارة فى صورة ألعاب ومسابقات، بحيث تنتهى بفوز أحد اللاعبين أو مجموعة اللاعبين فى أحد الفرق المنتمية إلى الفصل أو المعمل المدرسى. وبحصول كل فرد على عدد من النقاط يجمع المعلم النقاط الكلية لكل فريق ويعلن عن الفريق الفائز.

(٧) التنافس الفردى Individual Competition:

تعتمد هذه الاستراتيجية على تقسيم التلاميذ إلى مجموعات بحيث لا يزيد عدد أفراد المجموعة عن ثلاثة أعضاء غير متجانسين فى التحصيل ويحدث التنافس بين

أعضاء كل مجموعة بحيث يريد كل عضو أن يحصل على المركز الأول فى الموضوع المراد دراسته.

ويوزع المعلم التلاميذ على المجموعات ويمدهم بالأنشطة وبعض المعلومات ويقوم بتقييمهم فردياً بحيث يدرسون ويتعلمون منفردين، والذى يحصل على المركز الأول فى حل إحدى المسابقات التنافسية ينقل إلى جماعة أخرى كى ينافس زملاؤه الذين حققوا نفس المركز فى حل المشكلة التالية، وأثناء دراسة موضوع جديد يعاد توزيع التلاميذ فى الموضوع بحيث يحدث التنافس بين كل تلميذ وزميله.

خامسا : دوافع المجموعات المتعاونة للعمل المشترك:

بعض المتعلمين يخدعون أنفسهم إذا اعتقدوا أن "العمل معاً"، و"التعاون"، و"عمل فريق" يكفى لخلق جهود تعاونية بين أعضاء المجموعة. فاستبدال الطلاب داخل المجموعات والقول لهم بأن يعملوا معاً لن يؤدى بالضرورة إلى حدوث تعاون، فليس كل المجموعات تكون متعاونة فيما بينهم. ولتصميم دروس تجعل الطلاب يتعاونوا معاً فذلك يتطلب فهم مكونات العمل التعاونى. وللسيطرة على العناصر الأساسية للعمل التعاونى، يجب السماح للمدرسين بالآتى:

* أخذ دروس ومناهج دراسية وجلسات عمل خاصة عن التعليم التعاونى.
* إرشادهم لكيفية تصميم دروس التعليم التعاونى بما يناسب الظروف التعليمية المختلفة ويلائم قدرات التلاميذ الذهنية.
* مساعدتهم فى تشخيص المشكلات التى قد يواجهها التلاميذ أثناء العمل سوياً.

أول وأهم عنصر من عناصر بناء تعليم تعاونى هو الاتكال المتبادل الإيجابى بين التلاميذ، وهذا يحدث بنجاح عندما يدركون أنهم على ارتباط دائم وأنه لا يمكن لأحد منهم أن ينجح إلا إذا نجح كل عضو من أعضاء المجموعة. فأهداف ومهام المجموعة يجبَ أن تصمم وتصل لكل عضو بالمجموعة حتى يؤمنوا بأنهم إما يغرقوا أو يعوموا سوياً.

وعندما يتحقق الاتكال الإيجابى بشكل جيد، فذلك مؤشر لمدى تركيز وانتباه وجهود أعضاء كل مجموعة لنجاح المجموعة. وبذلك يكون لكل عضو فى المجموعة مساهمة فريدة. أن خلق نوع من الالتزام تجاه أعضاء المجموعة يبين الحرص الكامل على نجاح المجموعة، وليس – فقط – نجاح كل عضو بمفرده، وذلك هو قلب وجوهر التعليم التعاونى. وإذا لم يوجد اتكال متبادل إيجابى لا يوجد تعاون.

وثانى عنصر من عناصر بناء التعليم التعاونى هو التفاعلات المعززة. والطلاب يحتاجون أن يقوموا بعمل حقيقى معاً، فلذلك يدفع كل فرد الآخر للنجاح عن طريق المساندة والتشجيع.

وهناك الكثير من الأنشطة المعرفية المهمة، والتى تحدث فقط عندما يقوم الطلاب بدفع زملائهم للتعلم. وهذه الأنشطة تتضمن حل المشكلات وشرح وتقديم الخبرات للآخرين، والتأكد من الفهم، وشرح المفاهيم التى تم تعلمها، وربط الماضى بالحاضر. كل من هذه الأنشطة يمكن بنائها ووضعها داخل مهام المبنموعات. وبفعل هذا يتم التأكد من أن جماعات التعلم التعاونى هى كلاً من النظام الأكاديمى المساند (كل طالب له شخص ملتزم بمساعدته)، وهو أيضاً نظام شخصى مساند.

والعنصر الثالث فى التعليم التعاونى هو مسئولية الفرد والجماعة. هناك نوعان من المسئولية يجب وضعهما في دروس التعلم التعاونى، فالجماعة يجب أن تكون مسئولة عن تحقيق أهدافها، وأيضا كل عضو لهِ مسئولية المشاركة فى تحقيق هذه الأهداف. والمسئولية الفردية فى النهاية تقع وتعود إلى الجماعة فهو يمد الآخرين بالمساندة والتشجيع فى التعلم.

والعنصر الرابع فى التعليم التعاونى تعلم المهارات. التعليم التعاونى هو أكثر تعقيدا من التعليم التنافسى الفردى، لارتباط الطلاب معاً فى مهمة عمل وفريق عمل. والمهارات الاجتماعية من أجل عمل تعاونى فعال لا تظهر فجأة، ولكن يتم تعلمها بطريقة مقصودة كمهارات أكاديمية. القيادة واتخاذ القرار وبناء الثقة والاتصال والاجتماعيات ومهارات التفاعل، كل هذه المهارات تقوى الطلاب وتزيد قدرتهم على النجاح فى العمل كفريق.

والعنصر الخامس فى التعليم التعاونى هو تقدم المجموعة. فتقدم المجموعة يحدث عندما يتناقش أعضاء المجموعة فى كيفية تحقيق الأهداف. والمجموعات تحتاج لأن تصف أفعال الأعضاء المفيدة وغير المفيدة لمناقشتها، للقيام باتخاذ القرارات عن السلوكيات التى يجب أن تستمر والتى يجب أن تلغى.

سادسا : التعلم التعاونى كأحد أساليب التعلم الذاتى :

التعلم التعاونى، إحدى الاستراتيجيات التدريسية، التى أثبتت فعاليتها فى جوانب التعلم المختلفة، لما لها من مزايا تعليمية ونفسية واجتماعية، ولإمكانية الاستفادة منها فى مواجهة سلبيات طرق وأساليب التدريس التقليدية. وتعتمد هذه الاستراتيجية على إيجابية

الدارسين وتفاعلهم، حيث يقوم العمل فى مجموعات، يسود أفرادها الإحساس بالمسئولية والعمل الجماعى. وعليه تسهم هذه الإستراتيجية فى تنمية روح الفريق بين الدارسين مختلفى القدرات، وفى تنمية المهارات الاجتماعية وتكوين الاتجاه السليم نحو المواد الدراسية.

وتفقد هذه الاستراتيجية قيمتها وأهميتها، إذ عمل كل تلميذ منفرداً، دون اهتمام بما يقوم به الآخرون، بينما تحقق أهدافها إذا عمل التلاميذ فى جو تنافسى بحيث ترتبط أهداف الفرد مع الأهداف المشتركة لزملائه. فى الوقت نفسه.

وفى هذا النوع من التعليم، يتم تقسيم التلاميذ إلى مجموعات صغيرة، يتراوح عدد التلاميذ فى كل مجموعة من (٥ – ٨) تلاميذ، بشرط أن تكون المجموعات غير متجانسة؛ أى تتضمن المجموعة الواحدة التلميذ المتفوق، والمتوسط، والضعيف. وتتحمل كل مجموعة مسئولية إنجاز المهام، التى كلفت بها، مع ضمان فهم وإتمام تلك المهام، من قبل جميع التلاميذ، بلا استثناء، وذلك يسهم فى نقل التلميذ من حالة التلقى والاستماع السلبى، إلى المشاركة الفعالة والإيجابية فى مواقف التعلم؛ حيث يتحمل التلميذ عبء تعلمه وتعلم زملائه.

ويسعى أفراد المجموعة الواحدة، فى مواقف التعلم التعاونى، لفائدة مشتركة، ويحاولون الوصول إلى هدف واحد، وينتشر بينهم شعور قوى بأن ما يفيد المجموعة يفيد كل فرد منهم، وأن النجاح والإنجاز لا ينسب لفرد واحد، دون باقى أفراد المجموعة، لارتباطهم بمصير مشترك، فكل واحد منهم يكسب أو يخسر على أساس الأداء الجماعى لأفراد المجموعة، وبذا تكون النتائج محصلة عمل مشترك من كل أفرادها، وبذا يحقق التلاميذ مبدأ المسئولية الجماعية المشتركة، الذى يولد إحساساً وشعوراً بالتقارب والألفة، ويزيد الترابط بينهم، كلما حققوا المزيد من النجاحات المتتالية، وينتج عن ذلك شعور بالفخر والسعادة بنجاح كل فرد فى المجموعة، وكأنه نجاح شخصى لكل منهم.

وتسهم هذه الاستراتيجية فى إشباع ميول الدارسين، وتلبية احتياجاتهم التعليمية، والنفسية نتيجة روح التعاون التى تشيع بينهم، بالإضافة إلى أنها تعمل على حل مشكلة الفروق الفردية من خلال الارتقاء بمستوى التلاميذ المتأخرين دراسياً إلى المستوى التحصيلى المرغوب.

إذاً، تؤدى استراتيجية التعلم التعاونى دوراً مهماً فى التعلم، من حيث إيجابية المتعلمين، وتدعيم دافعيتهم للتحصيل، وتأكيد اتجاهاتهم نحو المادة الدراسية التعلمية.

ولقد ظهرت فكرة العمل الجماعى التعاونى، لتأكيد مفهوم روح التعاون والجماعية فى العمل، بدلاً من الفردية والمنافسة الشديدة، التى قد تؤدى إلى الأنانية البغيضة، حيث يكون شعار الفرد: "أنا وبعدى الطوفان". ويقوم التعلم التعاونى أساساً على العمل التعاونى للتلاميذ فى مجموعات. بمعنى، أنه أحد أساليب التعلم التى تحتاج من التلاميذ العمل فى مجموعات صغيرة لحل مشكلة ما أو لإكمال عمل معين أو إنجاز أو تحقيق هدف ما، ويشعر كل فرد من أفراد المجموعة بمسئوليته تجاه مجموعته، فنجاحه أو فشله هو نجاح أو فشل لمجموعته لذا يسعى كل فرد من أفراد المجموعة لمساعدة زميله وبذا تشيع روح التعاون بينهم.

وتقوم فلسفة هذا التعلم، على أساس أن التلاميذ الذين يعملون متعاونين فى مجموعات يستطيعون السيطرة على المواد بصورة أفضل من التلاميذ الذين يعملون بصورة منفصلة، كما أنهم يشعرون بمشاعر أفضل ويتقبلون زملاءهم المتأخرين دراسياً.

وينبغى أن تتوافر فى موقف التعليم التعاونى، خمسة شروط، هى:

(أ) الاعتماد الإيجابى المتبادل "نحن بدلاً من أنا"؛ فالتلميذ مرتبط بزملائه بشكل مؤداه أنه لن ينجح إلا إذا نجحوا هم.

(ب) المحاسبة الفردية؛ أى أن كل فرد فى المجموعة له دور محدد مسئول عنه.

(ج) التفاعل المباشر وجهاً لوجه؛ ويعنى توفير أكثر المواقف مناسبة لكى يتم الحوار والمناقشة وتبادل الأفكار والمعلومات بين أعضاء المجموعة.

(د) مهارات العمل الجماعى؛ أى أن هناك مهارات للعمل الجماعى، ويجب تدريب التلاميذ عليها.

(هـ) برمجة المجموعة؛ ويقصد بها مناقشة المجموعة لأدائها وكيفية تحسينه فى المرات القادمة.

ويمكن تلخيص مزايا استراتيجية التعلم التعاونى، فى الآتى:

* بالنسبة للتلميذ.

- يجد فرصة للمحاولة والخطأ، والاستفادة من خطئه.

- يجد فرصة لإلقاء الأسئلة والتعبير عن رأيه بحرية.
- تكون لديه فرصة للإجابة عن بعض التساؤلات، وعرض أفكاره على الآخرين.
- تعمل المجموعة على زيادة دافعيته للتعلم.
- تتحسن نوعية تفكيره مقارنة بالتعلم الفردى.
- يجد فرصة كى يقوم بدور المعلم مما يساعد على تثبيت المعلومات لديه.
- يكتسب القدرة على التحكم فى وقته.
- يكتسب الكثير من مهارات التعامل الاجتماعى.

* بالنسبة للمعلم :

- تقليل الفترة الزمنية التى يعرض فيها المعلم المعلومات على التلاميذ.
- إمكانية متابعة مجموعات صغيرة من التلاميذ.
- تقليل جهد المعلم فى متابعة وعلاج التلميذ الضعيف.
- تقليل بعض الأعمال التحريرية التى يقوم بها المعلم مثل التصحيح.

وكما قلنا من قبل، تتعدد استراتيجيات التعلم التعاونى، وهى:

(أ) التعلم التكاملى التعاونى :

حيث يتم تجزئ الموضوع الواحد إلى موضوعات ومهام فرعية تقدم إلى كل عضو من أعضاء المجموعة الواحدة، إضافة لتميزها بتكامل المعلومات المجزأة من خلال أسلوب تعلم جمعى يقوم فيه كل فرد بتعلم جزء معين من الموضوع المراد دراسته فى الموقف التعليمى، ثم يعلم كل فرد ما تعلمه لزميله بعد ذلك.

(ب) الألعاب والمسابقات بين المجموعات :

وفيها يتم تقسيم التلاميذ إلى مجموعات دراسية تتكون من ٣ – ٤ أعضاء يدرسون الموضوع معاً، ثم يقسمون بعد ذلك وفقاً لتحصيلهم، ويحدث تسابق بعد ذلك بين التلاميذ المتجانسين تحصيلياً فى الموضوع الذى درسوه، ويمكن هذا الأسلوب التلاميذ الانتقال من فريق لآخر فى ضوء نتائج المسابقات.

(ج) التنافس الفردى :

وتعتمد على تقسيم التلاميذ إلى مجموعات لا يزيد عدد أفراد كل مجموعة عن ثلاثة أعضاء متجانسين فى التحصيل. ويحدث تنافس بين أعضاء المجموعة الواحدة للحصول على المركز الأول فى الموضوع المراد دراسته.

(د) الاستقصاء التعاونى :

حيث يتم جمع المعلومات من مصادر مختلفة، كما يكلف المعلم تلاميذ المجموعة بمهام معينة، ويوجههم إلى مصادر المعلومات، ويقدم لهم الأنشطة داخل الفصل، ثم يحلل أعضاء المجموعة المعلومات، التى يتم عرضها فى الفصل، ثم تقوم كل مجموعة بتقويم الأخرى تحت إرشاد وتوجيه المعلم.

(هـ) التنافس بين مجموعات :

ويقسم التلاميذ إلى مجموعات تعاونية ليتعلم أفراد كل مجموعة الموضوع، ثم تقدم أسئلة للمجموعات، وتصحح الإجابات، وتعطى الدرجات لكل مجموعة وفقاً لإسهامات كل عضو فى المجموعة، والمجموعة الفائزة هى التى تحصل على أعلى الدرجات.

فى ضوء ما جاء فى الإستراتيجيات السابقة، يمكن أن نقول أن التعلم التعاونى هو أحد أساليب التعلم الذاتى، لأن المتعلم سواء أكان موهوباً أم بطء التعلم، يتعلم ذاتياً وفق ما يحدده له المعلم ووفق ما يراه المتعلم مناسباً له، فى الوقت المناسب، اعتماداً على قدراته وقابلياته.

سابعا : التعلم التعاونى وتطوير تفكير المتعلمين :

بادئ ذى بدء تجدر الإشارة إلى أن مواصلة التعلم، تسهم بشكل مباشر وصريح فى توسيع قاعدة المعرفة والتوسع فيها، إذ إن مجال التفكير والإحاطة به، وتعلمنا له أمر واسع لا حدود له، يكتنفه الغموض ولا يمكننا الإحاطة بجميع جوانبه. وبالنسبة للمعلمين لا يجب أن يقوموا بتعليم التفكير بشكل مختزل أو مبتور، أو يقوموا بتدريسه خطوة خطوة مثلما يفعلون فى تعليم أى درس من ميادين العلم والمعرفة. وفى هذا الشأن، يقول براندت Brandt: "أن المدرسة التى تُعنى بالعقل وتعمل على تنميته، تعمل جاهدة وباستمرار على توسيع قاعدة المعرفة العقلية للطالب، واكتسابها من مصادرها المختلفة، وبذلك يتعلم الطالب الكثير عند التعلُم، ويفكر كثيراً ليقف على ماهية التفكير، ويعرف سبل الوصول إليه والعمل على تفعيله، واتخاذه سلاحاً له لحل مشاكله وما يتعرض له من معضلات فى حياته، كما يعمل على زيادة حصيلة المعرفة عنده، وامتلاك مهارات واستراتيجيات التعلم التعاونى، ولذلك فإنه – غالباً – ما يتجه نحو من يخالفه الرأى والاتجاه، على المستوى نفسه الذى يتجه به نحو من يتفق حولهما معه.

ولأن المعلم الذى يؤمن بأن رسالة مدرسته هى تنمية العقل وتطوير التفكير، نراه يجهد نفسه وبشكل متتام فى استغلال كل فرصة ممكنة تخدم هذا الغرض، كما يحرص على أن يضمن مادته ومنهاجه وطرق تدريسه ما يساعد على تنمية العقل وإثارة التفكير باعتبار ذلك رسالته، وعليه أن يؤديها بأمانة وإخلاص. ولذا قد يختار أسلوب التعلم التعاونى، على أساس أن هذا الأسلوب يساعده وإلى مدى واسع إلى تقوية ما عند الطلاب من قدرات على التعاون مع الغير، وإلى تقدير طاقات الطلاب الإبداعية، وإلى اللجوء إلى تحكيم العقل والمنطق فى حل كل ما يجابهه من مشاكل وصعوبات.

ويعمل المعلم على تطبيق التعلم التعاونى كأسلوب للتدريس والتعلم، فهذا الأسلوب يساعده على طرح أسئلة تثير عند الطلاب الاهتمام بطرح الأسئلة واللجوء إلى التفكير الناقد. إن وجود قاعدة معرفية واسعة عنه المعلّم؛ تدعم قدرته على نقل المفاهيم إلى الطلاب وتوسيع مداركهم عبر مجال موضوعات متعددة، كما تساعده على أن يبعث عندهم الاحترام والتقدير للمفكرين البارزين الذين ظهروا وأبدعوا خلال العصور السالفة، وكذا تعريف الطلاب بأسلوب التفكير المنظم لأولئك المفكرين الذى اتبعوه عبر التاريخ، وذلك من خلال توزيع العمل ومتابعة تنفيذه من خلال التعلم التعاونى.

إن زيادة النمو المعرفى عند المعلمين فى مجال تقنيات التعليم، وكذا تمكنهم من استراتيجيات اتخاذ القرار القائم على تحقيق أهداف معينة، يمكنهم التعرف على خصائص الطلاب، وسماتهم المميزة، وعلى طبيعة الجو العام الذى يعملون فيه، فيقومون بتوزيع الطلاب فى مجموعات التعلم التعاونى بما يتوافق مع قدرات الطلاب وإمكاناتهم، وبما يتماشى مع ظروف المناخ التربوى السائد فى الفصول الدراسية.

إن مهارات التفكير والقدرة عليه لا تقتصر على القيام بعمليات عقلية معينة فحسب، وإنما تتعداها لتشمل ما يجب عمله، حين لا يتوافر حلول آنية لما نواجهه من مشاكل وعقبات.

وفى التعلم التعاونى، تتساوى جميع مهارات التفكير فى الأهمية والتقدير، لأن جميع المهارات لازمة لنا، ونفيد منها سواء فى دراستنا، أم فى تعلمنا، أم فى حل مشاكلنا، أم فى استخدام المنطق المعقول أو فى الاستدلال، ووضع الفرضيات، واستخلاص النتائج وإيجاد البدائل والحلول، وأيضاً التعاون مع الآخرين، والتعامل معهم، كما أن مهارات التفكير بمثابة ضرورة لازمة فى تعلم أساليب لاستقاء المعرفة،

وفى إنسياب الإبداع فى ثنايا العقول لتتشكل وتثمر من خلال فكرة طارئة فى الأذهـــان، أو من خلال استعارة لفظية جميلة، أو من خلال امتلاك مصطلحات ومفاهيم.

ويتم تطوير تفكير المتعلمين عند العمل وفقا للتعلم التعاونى من خـــلال القـــدوة والتقليد، حيث يتمثل الطلاب العاديين نظرائهم من المفكرين الجيدين، ويحاولون تقليدهم من خلال مناقشتهم والحوار معهم، وذلك يمثل الطريقة الفضلى لتعليم التفكيـــر. وممـــا يؤكد دور التعلم التعاونى فى العناية بالعقل والتفكير أن تقسيم مجموعات العمـــل يـــضم نماذج يحتذى بها فى سلوكها وتطلعاتها، بما يتفق مع ما يجب العمل على تأصيله فـــى نفوس بقية الطلاب، وغرسه فى سلوكهم، وذلك مثل: حب التعاون والمشاركة مع الغير حين إعداد خططهم، ووضع استراتيجياتهم، واحترام الرأى الآخر وإقرار مبـــدأ حريـــة التعبير فى الحوار والمناقشة، والانضباط الذاتى وضبط النفس والالتزام الخلقـــى أثنـــاء أزمات العمل وما يتبعها من إنفعالات طارئة. ومن ناحية المعلمين، خلال العمل وفقـــا لأسلوب التعلم التعاونى، فإنهم يتفهمـــون مـــشاكل الطـــلاب ويـــشاركونهم إحـــساسهم وعواطفهم بكل مودة وحنان، كما يعلمونهم حب النظام واحترامه والالتزام به.

وفى التعلم التعاونى، تتجلى الصورة الرائعة للإنسان ككائن اجتمـــاعى ينـــضج عقله عن طريق إقامة علاقات متبادلة مع الآخرين. ويقـــول **فيجوتـــسكى** Vygotsky ١٩٧٨ إن أرقى الأعمال التى نقوم بها تنشأ فعلاً من التفاعل مع الآخـــرين والاخـــتلاط بهم فى أى عمل، وإن أى تطور حضارى يتحقق علـــى مـــستويين، همـــا: المـــستوى الاجتماعى والمستوى الفردى.

ومن خلال التعلم التعاونى، يشكل المتعلمون أفكاراً، ويناقشونها، ويعبرون عن مختلف وجهات النظر، سواء أكان ذلك بشكل إفرادى أم بشكل اجتماعى. فقـــد يتفقـــون فى الرأى، وقد يختلفون، ويبرزون ما بينهم من خلاف، ويعملون على حله، ويوازنـــون ما بين البدائل، وبذلك يصبح التوفيق بين ما يقوم به المتعلم وما تقوم بها الجماعة أمـــراً مهماً فى مسيرة التقدم العلمى والإنسانى معاً.

وبعامة، جوهر عملية التعاون بين المتعلم وأفراد المجموعة التى يتعامل معها، هو العمل من أجل تعلم كيفية حل مشكلات دراسية مطلوبة، ومن أجل الوصول إلى فهم أفضل لطبيعة السلوك الفطن الذكى. ويبدو هذا جلياً فى تشكيل فرق العمل، التى تـــدعم بعضها بعضاً، حيث يتضامن الجميع لدعم السلوك الفطن الذكى وتأكيده، من خلال مـــا يمارسونه من أعمال، وما يرسمونه من خطط، وما يدرسونه من موضـــوعات، وفـــى

تحديد شروط الأولويات فى العمل قبل المباشرة فى التنفيذ، وكذلك عن طريق دور كل متعلم فى العمل المشترك، والمشاركة فى تنظيم منهاج عمل متطور ومناسب لكل واحد منهم على حدة، مهما كانت قدراته الذهنية وإمكاناته العقلية.

ولجعل ما تقدم حقيقة واقعة، يجب على المعلمين العمل على توفير الأجهزة والمعدات اللازمة لفرق العمل، بشرط أن تكون حديثة ومتطورة، لتسهم فى تعزيز ملكة التفكير عند المتعلمين.

أيضا يستوجب التعلم التعاونى أن يقوم المعلمون بأدوار أخرى غير آنفة الذكر، إذ يجب على المعلمين أن يتبادلوا المعلومات والخبرات التى تخصهم فى المواد التدريسية، وأساليب التدريس، وما يستجد فى ميادينها من تطور وتحديث، واستراتيجيات، وتقنيات، وأن يقوم معلمو المدرسة الواحدة بالإعداد والتخطيط المشترك، وتقييم المواد التعليمية، كما يقومون بتبادل التشاور والإرشاد والخبرات والآراء، من أجل إيجاد قاعدة مشتركة تربط بين قراراتهم التعليمية وبين الأهداف السلوكية التى يتبنونها.

وفى المراحل الدراسية العليا، يجب أن يشكل المعلمون وحدات هدفها التعرُف على مهارات التدريس القائم على التعلم التعاونى والعمل على تطويرها، وبحث مشاكلها وما يعترضها من عقبات لإيجاد الحلول المناسبة لها، كما يجب أن يشترك أعضاء هذه الوحدات فى إعداد الدروس،وإعادة تشكيلها وتطويرها، والتدرب على تطبيقها داخل الصف، وبهذا يتمكنون من ملاحظة بعضهم بعضاً، وتدريب بعضهم بعضاً، ويتبادلون المعلومات عن الطلاب من حيث ميزات كل منهم وخصائصه ومواهبه، ومدى مواظبته والتزامه بالنظام المدرسى، والتعرف على هواياته واهتماماته الخاصة، وبذلك يرقى مستوى تفكير المعلمين نحو الأفضل والأجود والأحسن.

كما يجب أن يعمل المعلمون بشكل متواصل على توضيح دلالة التفكير للمتعلمين، وما يعنيه بالنسبة لكل منهم، وأثره فى حياتهم، كما يقومون بعملية تقويم مستمرة للوقوف على مدى ما أحرزه المتعلمون من تقدم ونمو فى قواهم العقلية، وقدرتهم على التفكير، واستعمالهم له. ومن المهم أن يقوم المعلمون بتحسس المشاكل التعليمية الناجمة عن استخدام التعلم التعاونى فى التدريس والخروج منها بحلول تقوم على التجربة والخبرة. أيضا، قد يقوم فريق من المعلمين بالاشتراك فى تدريس حصة صفية، أو ندوة علمية تدور حول كيفية تحقيق التعلم التعاونى كأسلوب تعليمى تعلمى،

أو الاشتراك فى ورشة عمل لاستخدام الأجهزة والمواد التعليمية الموجودة فى عرض دروس تدور حول التعلم التعاونى، ودوره فى نماء مهارات التفكير، وفى التخطيط لتعليمها والعمل على تعزيزيها والربط فيما بينها من خلال حقول المواد الدراسية التى يتعلمها الطلاب باستخدام أسلوب التعلم التعاونى.

ومما لا شك فيه، يرتفع مستوى أداء الطالب وقدرته على الإبداع، إذا ما توافر له جوٌ مدرسى يبعث على الثقة والاطمئنان، مما يقوى عنده الفكر التجريبى القائم على التجربة والاختبار ووضع الفرضيات وتوقع الحلول، وذلك ما يتحقق بالفعل من خلال التعلم التعاونى، الذى يوفر جواً بعيداً عن التوتر والقلق خشية الفشل أو التعرض لأحكام قاسية أو تعليقات جارحة من الآخرين.

وتنبعث من مؤشرات ودلالات التعلم التعاونى، ما يدل على وجود جو مريح يبعث على الثقة والاطمئنان، وإلى وجود نزعات طيبة تشجع على ظهور تجليات ابتكارية، وعلى تحقيق تفكير مبدع أو القيام بعمليات عقلية راقية.

وبعامة، إذا نجحت المدرسة فى تعميم أسلوب التعلم التعاونى، فذلك خير مؤشر أو دليل على طبيعة المناخ التربوى الصالح الذى يسودها، والذى يترك آثاره وبصماته على الطلاب فى نمو مهارات التفكير عندهم، وفى استخدامها بفاعلية ونجاح، وفى تحوُل المعلمين إلى باحثين تربويين، لا يكتفون بإلقاء الحصة وشرح الدرس، وإنما يقومون بوضع ترتيبات صفية واستراتيجيات تعليمية، لتكون موضع المحك والاختبار قبل اعتمادها، والأخذ بها.

ومن المسلم به، أن أى أمر تزداد قيمته وأهميته معنوياً أو مادياً، إذا ما حظى بالتقدير، وعليه إذا حظى التفكير بتقدير الناس واعترافهم بأهميته، انتقل هذا التقدير بدوره إلى المتعلمين والمعلمين والموظفين الآخرين. وعلى المدرسة من جانبها أن تقدر ما عند المتعلمين من نوازع تفكير وعلامات تفوق، وأيضا ما قاموا به من إنجاز يستحق التقدير، والرعاية والاهتمام.

ومن خلال التعلم التعاونى، يتعرف المتعلمون قيمة الانتظام وأهمية العمل بكل دقة وإتقان، ويقدرون حتمية احترام وجهة نظر الآخرين وأخذها بعين الاعتبار، ويؤكدون ضرورة الإعداد والتخطيط، وحق التعبير عما يجيش فى صدورهم من عواطف، وهذه جميعاً عوامل فاعلة تعمل على إنبثاق أفكار جديدة، وتعمل على تفعيل أساليب تفكيرهم.

وعلى أساس هذه النهج، يحترم الطلاب بعضهم بعضاً، وتزداد قيمتهم فى نظرهم بسبب ما يقومون به من أعمال إبداعية، وما يبدونه من شعور التعاون والعطف والحنان، فيما بينهم، وما يتحلون به من عزم وتصميم فى إنهاء التكليفات المطلوبة منهم بنجاح وكفاءة. وعندما ينجح المتعلمون فى تحقيق أهداف التكليفات المطلوبة منهم من خلال العمل التعاونى، فإنهم يكتسبون مقومات التفكير الصحيح من خلال جميع خطوات ذلك العمل، بدءً من تقسيم العمل فيما بينهم، وانتهاءً بتقويم ما حققوه من إنجازات. وفى هذه الحالة، يجب أن تشجع المدرسة المتعلمين على الاستمرار فى أعمال الفكر والإبداع، وأن تظهر لهم بعض أشكال التقدير والتكريم بدعوتهم للتحدث عن أعمالهم الناجحة وأساليبهم الفريدة وما أفادوه من خبرة وما أحرزوه من نتائج إيجابية فى عملهم وفى إعدادهم لدروسهم وأساليب تعلمهم، وطرائق تفكيرهم، وما أنتجوه فى شكله النهائى.

خلاصة ما تقدم، يمكن الزعم بأن مهارات التفكير تشيع فى المدرسة التى تشجع المعلمين على اتباع أسلوب التعلم التعاونى فى تعلمهم، وتعترف بأهميته، وهذا أمر يظهر للعيان عند استعراض المعلمون لأعمال المتعلمين التى تنمُ عن التفكير والإبداع، والتحدُث عنهم ومعهم فى الخطوات التى قاموا بها حتى وصلوا إلى ما وصولوا إليه، وفى حوارهم معهم للحلول التى قاموا بها، والأساليب التى أخذوها بها لما اعترضهم من مشاكل وقضايا خاصة، وفى قدرتهم على التعاون مع الآخرين، واستخدام المحاكمة العقلية والمنطقية، وتقديم حلول إبداعية لما يعرض لهم من مشاكل وأحداث، وحُسن التصرف فى الأمور الطارئة، والقدرة على اتخاذ القرار، وتكوين رأى مستقل يعبر به كل متعلم عن كيانه الخاص، وفى حسن تمييزهم للأشياء والمفاضلة فيما بينها.

ومن ناحية ثانية، يدعو الواقع الذى نعايشه، كما يدعو المستقبل بملامحه المتوقعة إلى ضرورة تغيير استراتيجيات التدريس وصياغات محتوى المناهج المدرسية فى كافة مراحل التعليم. ومن الأصوب والأصلح أن يبدأ المتعلم فى تعلُم كيفية مواجهة نتائج التغيرات المتسارعة فى كل جوانب حياته، بأن يتقن التعاون لتنحية وحذف المشكلات التى تعوق مسيرة تقدمة نحو المستقبل أو تحاول أن تجعله حاضراً متكرراً بكل ما فيه من تقليدية، وأن يتقن أساليب تعلم التفكير فى القضايا الملحة الضرورية، سواء أكانت دراسية أو علمية أو عملية أو ثقافية ... إلخ.

والفلسفة الأساسية التى يقوم عليها التعلم التعاونى تؤكد أهمية التفكير كمنهج حياتى، وتعمل على إكسابه للمتعلمين. وهذه الفلسفة مفادها: نحن لن نتمكن إذا عمل كل منا بمعزل عن الآخرين، أو إذا عملنا وكأننا نعيش فى جزر منفصلة ومتباعدة، وعلى ذلك فإن تدريس حل المشكلات بعامة، مع توضيح أهمية التعاون فى حل المشكلات بخاصة لهو أمر حيوى ومهم للعيش فى المستقبل. وتؤكد عديد من الدراسات والبحوث أن تعود التعاون فى حل المشكلات يؤدى فى الوقت ذاته إلى تعود المتعلم وتزايد قدرته على اتخاذ القرار وإلى التكامل الذاتى فى تعلُمه. ويتكون نموذج حل المشكلات الذى يجب تعويد المتعلم على اتباعه من خطوات أربعة، هى:

أ – تعريف المشكلة تعريفاً جيداً Identifying.

ب – العصف الذهنى للحلول Brainstorming.

ج – تطبيق الحل الأمثل Implementation.

د – تقويم الحل المختار Evaluation.

ولا يختلف النموذج السابق عن النماذج المتعارفة والمألوفة فى ميدان التربية، إذ أن تلك النماذج تجتمع على الخطوات الأربع السابقة وتقرها. وقد تفردها فى خطوات فرعية أو تغير مسماها وفقاً لفلسفة صاحب النموذج وهدفه وميدان تطبيقه، ولكن يظل مضمونها متوافقا مع مضمون النموذج السابق.

وتحتاج صياغة المشكلة إلى معايير خاصة، لذلك أولتها دراسات وأدبيات أخرى الاهتمام، فناقشت العوامل المؤثرة فيها ودور المُعلم فى تحديد المشكلة وصياغتها. كما أولت بعض الأدبيات "الموقف المُشكل" أهمية خاصة وربطت بينه وبين العوامل الدافعة لتعلُم الفرد فى سياقات متعددة، ارتبط بعضها بنماذج معرفية مقترحة. ومما يذكر يمكن أن تتم صياغة المشكلة عن طريق الألعاب التى يتناولها المتعلمون فرادى أو فى جماعات. وتكون فى صورة ألغاز أو متاهات أو قصص منقوصة أو رياضيات أو غير ذلك مما اعتادت عليه البشرية، على اعتبار أن اللعب يسهم فى نمو الشخصية والصحة النفسية للمتعلم ويطلق العنان لخياله ويدعم إيجابيته نحو الآخرين، كما أن اللعب – كما يرى **بياجيه** – جزء لا يتجزأ من عملية النماء العقلى.

وعليه فمن خلال اللعب العمدى المقصود – وخاصة عندما يكون اللعب جماعياً – يمكن تدريب المتعلم على حل المشكلات ويمكن إكسابه مهارات عدة تُيسر له حل مشكلات أخرى، منها: التمييز البصرى للمسارات والألوان، التمييز السمعى

للمتشابهات، التمييز الشمى وتذكر الروائح، التمييز اللمسى، التمييز الذوقى، وكذلك المهارات العقلية التعبيرية وما يرتبط بها من سلوكيات شخصية أو اجتماعية.

خلاصة ما تقدم، يمكن القول بدرجة كبيرة من الثقة: يرتبط أسلوب حل المشكلات والتعلم التعاونى إرتباطا وثيقا، له دلالته ومضامينه، لأن التعلم التعاونى فى أساسه ومجمله يعبر عن قضية مطلوب دراستها وحل ألغازها، من خلال فريق عمل، يحاول أفراده تحقيق ذلك الهدف، وفى خلال محاولاتهم، فإنهم يفكرون معاً من خلال المناقشات والمداولات التى تجرى فيما بينهم.

إذاً، العلاقة بين أسلوب حل المشكلات والتعلم التعاونى وثيقة الصلة، إذ إن كلاهما يعتمد اعتماداً مباشراً على التفكير كمنهجية للعمل، لتحقيق الهدف المأمول.

ومنت ناحية ثالثة، يمكن الزعم بأن التعلم التعاونى، شأنه شأن أى عمل إنسانى، لا تقوم له قائمة دون ممارسة تفكيرية، وإن كان يتميز عن الأعمال الأخرى فى أن التفكير يتم فى تلك الممارسة على المستويين: الفردى والجمعى معاً. فالمتعلم مطلوب منه تحقيق وتنفيذ تفكير بعينه، وعليه أن يفكر فيه، والمعلمون معاً، عليهم أن يفكروا فى العمل فى صورته النهائية، بعد انتهاء كل متعلم من مسئولياته. ولعل ما يؤكد أهمية وقيمة التفكير فى العمل من خلال التعلم التعاونى الأسئلة التالية، والإجابات المطروحة عنها:

(١) ما هو التعليم التعاونى؟

التعليم التعاونى يعرف أيضاً بالتعليم التضامنى، وهو طريقة فى التعليم يقوم فيها الطلاب بالعمل معاً فى مجموعات، من أجل تسهيل عملية التعلم، وعليه يُعرف التعليم التعاونى كطريقة تعليمية مركزها الطالب نفسه حيث يقوم الطلاب بالعمل فى مجموعات متعددة القدرات من أجل تحقيق أهداف تعليمية، وهذه الطريقة أثبتت أنها ذات كفاءة لكل مستويات التعليم، كما أنها حققت أغراضاً تربوية رائعة، فى مقدمتها تنمية تفكير المتعلمين.

(٢) لماذا يعد التعليم التعاونى مهما؟

تتجلى أهمية التعليم التعاونى من كونه طريقة تجعل المعلم يخلق بيئة تفاعلية داخل الفصل، تقوم على أساس إتاحة الفرص المناسبة للتفكير الفردى والجماعى، على حد سواء، كما أن العمل الجماعى يهيئ حرية التعبير للمتعلم عن الأفكار أثناء المناقشة بينه وبين المعلم، وبينه وبين أقرانه. وأيضاً يسهل التعليم التعاونى من مقابلة الثقافات

المتعددة فى حالة وجودها داخل الفصل. وعلى المعلم أن يقوم بتأكيد أن التعليم التعاونى يختلف عن التعليم التنافسى، لأن الهدف النهائى تحقيق مصلحة فريق العمل.

ويتضمن التعليم الخاص تأكيداً على الدور المشترك للطلاب لدفع وتشجيع العمل التعاونى. وقد أثبتت الأبحاث أن العمل التعاونى فى مجموعات يسهم فى تحسين المستوى الأكاديمى ويعمل على تحقيق إنجازات الطلاب بكفاءة، وله دور مهم فى تطوير قدراتهم التفكيرية، وفى نماء مهاراتهم الاجتماعية. ومما يذكر أن زيادة وقت العمل المشترك بين المتعلمين له آثار إيجابية بالنسبة لتأكيد الثقة فى الذات بالنسبة للمتعلم منفرداً، ولزملائه الآخرين.

(٣) ماذا يفعل المعلم للإعداد من أجل التعليم التعاونى؟

يجب أن يقوم المعلم بتعليم الطلاب كيف يقوموا بالعمل سوياً فى مجموعات، فالطلاب فى حاجة ماسة لمعرفة مهارات التعلم التعاونى، مثل:

* مهارات يحتاجها الطلاب ليقوموا بالمهام بأدب وأخلاق.
* مهارات إجرائية مثل المحافظة على الوقت وطلب المساعدة.
* مهارات أكثر تقدماً مثل طلب أفراد المجموعة لعمل تعليق على بعض الإجراءات.
* مهارات تساعد الطلاب فى أن تتكامل أفكارهم، حتى يمكنهم فهم نظريات، أو تقديم إجابات متعددة.

(٤) ما هى أنواع التعليم التعاونى المختلفة؟

تتمثل أهم أساليب التعليم التعاونى فى الآتى:

* (STAD)، حيث يتم تقسيم الطلاب كفرق لإنجاز أهداف التعلم، ويقوم المعلم فى هذه الحالة بإعطاء معلومات مهمة للطلاب، قبل بدء الدرس، ثم يعطى كل مجموعة ورقة بها أسئلة وورقة بها الإجابات ثم يعطى كل مجموعة فرصة ٢٠ دقيقة لمعرفة الإجابة الصحيحة، والمجموعة صاحبة النتيجة العالية يتم مكافأتها.
* أسلوب مبنى على المناظرة الأكاديمية، حيث يقوم المعلم بشرح الموضوع للتلاميذ ويقوم بمساعدة الطلاب بأن يجمعوا معاً معلومات عن الموضوع، ثم يتم تقسيم الطلاب إلى مجموعات، وكل مجموعة مقسمة إلى ثنائيات وكل ثنائى يقوم بمناقشة الموضوع من جانبه على شكل مناظرة. وهذا يعتبر اختبار لمهارة الاستماع

والتفكير وطرح الأسئلة. وفى النهاية يقوم الطلاب بالتوصل لرأى جماعى حول المناظرة.

* فرق ألعاب ومباريات (TGT)، حيث يتم تقسيم الطلاب إلى فرق، وفى كل أسبوع يقوم المعلم بعرض مادة وموضوع جديد ثم تقوم الفرق بعمل مذاكرة للموضوع وعمل واجبات وفى نهاية الأسبوع يقوم الأعضاء فى كل فريق بالمنافسة مع أعضاء الفريق الآخر فى شكل مباريات، وكل فريق يحاول جاهداً زيادة عدد النقاط التى يحصل عليها.
* الترتيب بطريقة متشابكة (Jigsaw)، حيث يتم وضع التلاميذ فى مجموعات غير متجانسة وكل عضو جزء من مجموعة لديها خبرة معينة، وتقوم كل مجموعة بتقسيم المادة على أعضاء المجموعة من أجل أن تكون لكل فرد الخبرة الكافية فى الجزء المسئول عنه، ثم يجمعون خبراتهم لمراجعة ما تعلموه.
* الترقيم والعد، حيث يتم ترقيم الطلاب ثم يقوم المعلم بطرح سؤال بعينه، ليقوم أفراد كل مجموعة من المجموعات بالعمل سوياً، وعندما يتعرف أعضاء المجموعة على الإجابة وسببها، يقوم المعلم باستدعاء أى رقم من هذه المجموعة للإجابة.
* التعاون فى القراءة والكتابة والفهم، وهذا النوع مصمم للطلاب فى مستويات التعليم الأولية (المرحلة الابتدائية)، حيث يتم تقسيم الطلاب فى مجموعات، تتكون كل منها من ثلاثة إلى أربعة تلاميذ ويقوم المعلم بإعطائهم قصة ليقرأها كل واحد فيما بينه أو بصوت مرتفع مع زملائه، وبعد انتهاء ثلاثة حصص، يعطى المعلم للتلاميذ واجبات واختبارات خاصة بالفهم والتفكير، تتمحور حول موضوع القصة.

وبعامة ... هناك عدد من الدراسات المكثفة عن طرق التعليم التعاونى، فقد أكدت ١٦٤ دراسة وجود ثمان طرق للتعلم التعاونى، وكل طريقة منها لها أهمية أيجابية على تفكير الطالب وإنجازه.

وتشير طرق التعلم التعاونى إلى تحقق ما وراء التحليل (التفكير الفوقى)، إذ إن التعلم التعاونى يحدث عندما يعمل الطلاب معاً لتحقيق أهداف مشتركة، وكل طالب يستطيع أن يحقق أهدافه إذا حقق أعضاء المجموعة كلها أهدافها، وذلك يتطلب التفكير الشخصى والتفكير الجمعى.

وفى الثلاث عقود الماضية، بات التعلم التعاونى فى أشكاله الحديثة، يستخدم بتوسع كإجراء تعليمى فى مراحل ما قبل المدرسة وفى المدرسة وفى مراحل التخرج

وفى كل أنواع التعلم التقليدية وغير التقليدية. والتعلم التعاونى منتشر لدرجة أنه من الصعب إلا نجد كتب للمعلمين لا تستخدمه ولا تذكره فيها.

والتعلم التعاونى يتم استخدامه بتوسع نتيجة لوجود ثلاثة عوامل مهمة، هى:

(١) يعتمد على نظرية تربوية صحيحة.

(٢) أنه تحقق نتيجة لأبحاث تربوية عديدة.

(٣) يمكن تحويله لإجراءات يقوم المتعلمون بتنفيذها.

وفيما يلى تفسير مختصر للعوامل الثلاثة السابقة:

(١) التعلم التعاونى يعتمد على النظريات المختلفة فى علم الإنسان، وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم السياسة وعلم النفس. فعلى سبيل المثال، فى علم النفس كلما يكون هناك تعلم تعاونى، تكون هناك متعة أكبر. والتعلم التعاونى له جذوره فى التفاعلات الاجتماعية والتطور المعرفى ونظريات التعلم السلوكية، ومن النادر أن تكون طريقة تعليمية تعلمية كهذه لا علاقة لها بالنظريات والعلوم الاجتماعية.

(٢) هناك أكثر من دراسة بحثية علمية أثبتت فاعلية التعليم التعاونى مقارنة بالتعليم التنافسى والمجهودات الفردية. والبحث عن المجهودات التعاونية لها طابع خاص، فهى تركز على اختلاف المخرجات كالإنجازات والدافعية والتطور الاجتماعى المعرفى والمساندة الاجتماعية والصداقة والقيم المختلفة. وهناك العديد من الأبحاث الخاصة بالتعليم التعاونى ركزت على معالجة بعض المشكلات الاجتماعية، مثل: الاختلاف فى الجنسية، والعنصرية، والإعاقات المختلفة.

(٣) التطبيق العملى للتعلم التعاونى له عدة طرق من أجل تنظيم المجموعات داخل الفصل، لذلك يحتاج المعلمون لأخذ دورات تدريبية وبرامج حول التعليم التعاونى للتمكن من تطبيقه بطريقة حية ومؤثرة داخل الفصول الدراسية.